الأب بيمن

١ ـ ذهب الأب بيمن مرة ، عندما كان شاباً ، إلى أحد الشيوخ يسأله عن ثلاثة أفكار . ولما وصل إلى قلاية الشيخ ، نسي واحداً من أفكاره ، فعاد أدراجه إلى قلايته . وقبل أن يمسك بمفتاح بابها ، تذكر ما قد نسي ، فقفل عائداً إلى الشيخ من جديد . قال له الشيخ : لقد أسرعت في العودة يا أخي . فقصّ عليه كل ما جرى له وقال : لما وضعت يدي على المفتاح ، تذكرت ما قد جئت إليك من أجله ، فلم أفتح ، وعدت إليك . وكانت المسافة بين المكانين بعيدة جداً . فقال له الشيخ : أنت راعي القطعان واسمك سيُتحدث به في كل أنحاء مصر[1].

٢ ـ كانت لباييسيوس شقيق الأب بيمن صلة بإنسان من خارج قلايته ، فأبى الأب بيمن أن يكون الحال هكذا . فنهض وجاء إلى الأب عمون وقال له : إن باييسيوس أخي له صلة بآخر ولا أرتاح لذلك . فقال له الأب عمون : يا بيمن ، أما تزال حياً ؟ إذهب ولازم قلايتك وضع في قلبك أن لك سنة كاملة في القبر .

٣ ـ جاء بعض كهنة المنطقة إلى الأديار التي كان فيها الأب بيمن ، فدخل عليه الأب أنوف وقال له : دعنا نجمع الكهنة اليوم يا أبت . لكن الأب بيمن لم يعطه جواباً بالرغم من طول الإنتظار . فخرج حزيناً . فقال له الذين كانوا يجلسون إلى جانبه : يا أبانا ، لماذا لم تعطه جواباً ؟ قال لهم الأب بيمن : لا يهمني شيء لأني ميت ، والميت لا يقدر أن يتكلم .

---

(١) إن كلمة « بيمن » باليونانية تعني « راعٍ » .

٤ ـ كان في مصر شيخ قبل مجيء رفاق الأب بيمن وكان ذا معرفة وقيمة كبيرتين . فلما جاء الأب بيمن وصحبه من الاسقيط ، ترك الناس ذلك الشيخ وجاؤوا إلى الأب بيمن فحزن الشيخ وقال لإخوته : ماذا نفعل بهذا الشيخ العظيم ؟ فالناس يزعجوننا عندما يتركونه ويأتون إلينا ، ونحن لسنا بشيء ؟ كيف نقدر أن نشفي الشيخ ؟ وقال لهم : أعدّوا شيئاً من المأكول وخذوا زق الخمر لنذهب إليه ونأكل معه ، علّنا بهذه الطريقة نشفيه . وبعد أن أعدّوا الطعام والشراب ، مضوا إلى الشيخ . ولما قرعوا الباب ، سمع تلميذه الصوت ، فسأل : من أنتم ؟ فقالوا : قل للأب إن بيمن يريد أن يأخذ بركتك . فنقل التلميذ الكلام إلى الشيخ ، فقال ذاك : إذهب ، لم أفرغ من العمل بعد . فألحّ القادمون الذين احتملوا الحر الشديد ، وقالوا : لن نذهب قبل أن نرى الشيخ . فلما رأى الشيخ تواضعهم وصبرهم ، تحرك قلبه ، وفتح لهم الباب . ولما دخلوا أكلوا معاً . وبينما كانوا يأكلون ، قال : في الحقيقة لا يجوز أن أكتفي بما سمعته عنكم ، لأنكم في العمل والفعل أفضل بمائة مرة . ومنذ ذلك الحين صار صديقاً لهم .

٥ ـ أراد حاكم تلك المنطقة أن يرى الأب بيمن ، لكن الشيخ لم يقبل . فما كان من هذا إلاّ أن أمسك ابن أخت بيمن ورماه في السجن بتهمة ، وقال : لا أطلقه حتى يأتي الشيخ نفسه ويتوسل من أجله . فجاءت أم الصبي إلى قلاية الشيخ تبكي ، فلم يعطها جواباً . فبدأت تشتمه قائلة : يا قاسي القلب[1] ، ارحمني لأنه وحيدي . فأرسلها وقال لها : ليس لبيمن اولاد . وهكذا تركت المكان . فلما سمع الحاكم هذا ، أرسل يقول : سأطلق الولد لمجرد كلمة من الشيخ . فصرّح الشيخ قائلاً : تصرّف بما يطابق القوانين ، فإذا كان يستحق الموت ، فليمت ، واذا كان بريئاً فافعل ما تريد .

٦ ـ سقط أخ يعيش في شركة في هفوة . وكان في تلك الأماكن ناسك لم يخرج منذ

(١) الترجمة الحرفية هي يا ذا الأحشاء النحاسية .

زمن طويل . فجاء رئيس الشركة إلى الشيخ واخبره بما جرى . فقال : أطردوه . فخرج الأخ من الدير ومضى إلى وهدٍ وأخذ يبكي هناك . فسمعه بعض الاخوة الذاهبين إلى الأب بيمن ، وهو يبكي ، فجاؤوا إليه فوجدوه في حالة يرثى لها ، فرجوه أن يمضي معهم إلى الأب بيمن . فلم يرد قائلاً : هنا سأموت . فجاؤوا إلى الأب بيمن وأخبروه بما حصل ، فأرسلهم متوسلاً وهو يقول : قولوا له إن الأب بيمن يسلّم عليك . فجاء الأخ . فلما رآه الشيخ حزيناً ، قام إليه وقبّله . وبينما كان يمازحه ، دعاه إلى الطعام . ثم أرسل واحداً من الاخوة إلى الناسك يقول : منذ سنين عديدة وأنا أرغب أن أراك بسبب ما أسمعه عنك ، ولكننا لم نتقابل بسبب كسلنا . ولكن الآن وبمشيئة الله قد صار للقائنا سبب ، فكلّف نفسك بالمجيء إلى هنا لنرى بعضنا بعضاً . وكان الناسك لا يبارح قلايته ، لكن لما سمع هذا الكلام قال : لو لم يكن الرب قد ألهمه ، ما كان ليدعوني إليه . فقام ومضى إليه . فتعانق الإثنان . فقال له الأب بيمن : كان في إحدى الأمكنة إنسانان وكان للإثنين أموات فترك الواحد ميته ومضى يبكي ميت قريبه . فلما سمع الناسك هذا الكلام ، نُخس في قلبه، وتذكر ما فعل، فقال : إن بيمن لفي السماء أمّا أنا ففي الدركات ، أي على الأرض .

٧ ـ زار مرة عدد كبير من الشيوخ الأب بيمن إذ كان واحد من صحبه معه ولد وجهه متجه إلى الوراء بقوة شيطانية . فلما رأى والد الصبي جمهور الآباء ، حمل ابنه وخرج به إلى باب الدير وجلس يبكي . فحدث أن خرج أحد الشيوخ ، فلما رآه قال : لماذا تبكي يا رجل ؟ أجابه والد الصبي : أنا واحد من أقرباء الأب بيمن ، ثم قصّ عليه ما جرى للولد وقال : لقد خشينا أن نقدّمه للأب بيمن ، لأنه لا يريد أن يرانا . وإذا ما علم أننا هنا ، لا بد أنه سيرسل إلينا من يطردنا . ولكني لما رأيت قدسكم ، تجاسرت على الدنو . ارحمني يا أبت كما تشاء وخذ الصبي إلى الدير وصلِّ من أجله . فحمله الشيخ ودخل به إلى الدير

وتصرَّف بحكمة إذ لم يقدمه للأب بيمن مباشرة . إنما أخذ يطوف به أمام الحاضرين مروراً بالأصغر وهو يقول: أختموا الصبي[1] ، أختموا الصبي . ولما ختمه الجميع كل في دوره جاء به إلى الأب بيمن ، فلم يشأ أن يلمسه . فرجا منه الحاضرون قائلين : افعل ما فعله كل واحد منّا يا أبانا. فتنهد وقام وصلّى قائلاً : يا إلهي ، أشف خليقتك هذا لئلا يسوده العدو . ولما ختمه شفاه للحال وسلّمه إلى والده صحيحاً معافى .

٨ ـ سافر أحد الاخوة في نواحي الأب بيمن إلى مكان غريب وجاء إلى ناسك ذلك المكان ، الذي كان محبوباً جداً ومقصوداً من الناس ، وأطلعه على أحوال الأب بيمن . فلما سمع الناسك بفضيلة بيمن رغب في أن يراه . وبعد مدة عاد الأخ إلى مصر . ثم قام الناسك وجاء إلى مصر إلى الأخ الذي كان قد زاره لأنه أخبره أين يقيم . فلما رآه الأخ ، تعجب وفرح جداً . فقال الناسك : اعمل لي معروفاً وخذني إلى الأب بيمن. فأخذه إليه وأطلع الأب على أخبار الناسك الضيف وقال : إنه إنسان كبير محبوب جداً وذو شأن رفيع في بلاده. وقد حدّثته عنك فرغب في أن يراك . فقبله الأب بيمن بفرح ، وبعد العناق المألوف ، جلساً . فبدأ الضيف يتكلم بشواهد من الكتاب المقدس على الروحيات والسماويات. وللحال أدار الأب بيمن رأسه ولم يعطه جواباً . ولما لاحظ الناسك أن بيمن لا يكلّمه ، خرج حزيناً وقال للأخ الذي اقتاده إليه: عبثاً تعبت في قدومي إلى هنا ، لأني أتيت إلى الأب بيمن فلم يرد أن يكلّمني . فدخل الأخ على الأب بيمن وقال له : يا أبت، إن الرجل الكبير هذا جاء ليراك. هو إنسان ذائع الصيت في بلاده ، لماذا رفضت أن تكلمه ؟ قال له الأب : هذا ينتمي إلى ما هو فوق ويتكلم في السماويات ، أمّا أنا ، فأنتمي إلى ما هو أسفل ، إلى الأرضيات . لو أنه حدّثني عن أهواء النفس ، لكنت أجبته في الحال . ولكن عندما كلّمني على الروحانيات ، لم أجبه بكلمة ، لأني لا أعرفها . فخرج الأخ وقال للناسك : إن الشيخ لا

---

(١) بعلامة الصليب .

يتحدث بسرعة من الكتاب المقدس . ولكن إذا حدّثته عن أهواء النفس ، فإنه يجيب ، فتأثر الناسك من هذا الكلام ، ودخل على الأب بيمن من جديد وقال له : ماذا أعمل يا أبت وأهواء النفس تسودني ؟ فنظر إليه الأب بيمن بفرح وقال : أهلاً بك . افتح فمك وسوف أملأه خيرات . فانتفع الناسك وقال : في الحقيقة هذا هو الطريق الحقيقي . ثم عاد إلى بلاده يشكر الله الذي أهّله أن يقابل قديساً كهذا .

٩ ـ أمسك حاكم المنطقة بإنسان من قرية الأب بيمن . فخرج أهل القرية إليه يرجون منه أن يذهب ليطلقه . فقال لهم : أتركوني ثلاثة أيام ، بعد ذلك آتي . فصلّى الأب الى الرب قائلاً : يا رب ، لا تعطني هذه النعمة ، لأنهم لن يدعوني فيما بعد أقيم في هذا المكان . ثم جاء يستعطف الحاكم ليطلقه ، فقال له ذاك : هل تستعطف لصاً يا أبت ؟ ففرح بيمن لأن طلبه قد رُفض .

١٠ ـ قصّ البعض أن الأب بيمن واخوته صنعوا فتيلاً . ولم يتقدم عملهم إذ لم يكن عندهم ما يشترون به كتاناً (أو قنباً) ، لكن واحداً من محبيهم نقل الأمر إلى تاجر مؤمن . وبالطبع لم يرد الأب بيمن أن يأخذ شيئاً من أحد بسبب الإزعاج . ولما عزم التاجر أن يؤدّي للشيخ خدمة ، تظاهر بحاجته الى الفتيل ، فأحضر الجمال وأخذها . فلما جاء الأخ إلى الأب بيمن وسمع ما قام به التاجر ، وفي نيته أن يمتدحه ، قال : بالفعل يا أبت قد أخذها ، مع أنه لا يحتاج إليها . وقد فعل هذا ليؤدّي لنا خدمة . فلما سمع الأب بيمن أنه أخذها ولم يكن يحتاج لها ، قال للأخ : انهض واستأجر جملاً واذهب لإحضار الفتيل . وإذا لم تحضرها ، فإن بيمن لن يقيم هنا معكم ، لأني لا أريد أن أظلم إنساناً لا يحتاج إلى ما يأخذه مني . فيتضرر ونحن نجني ربحه . فمضى الأخ وأحضرها وقد أضناه التعب . لو لم يفعل هكذا ، لتركهم الأب بيمن فلما رأى الفتيل ، فرح ، وكأنه وجد كنزاً .

١١ ـ سمع مرة كاهن بيلوسيوس عن بعض الاخوة أنهم يترددون على المدينة كثيراً

ويستحمّون ويهملون أنفسهم . فلما جاء إلى الإجتماع رفع عنهم الاسكيم الرهباني . ولكن بعد حين بدأ ضميره يؤنبه . فجاء إلى الأب بيمن وهو مضطرب الفكر ممسكاً ثياب الاخوة وأخبره بما حدث . قال له الشيخ : أليس فيك شيء البتة من الإنسان القديم ؟ هل نزعته عنك ؟ قال الكاهن : لا أزال أشترك فيه إلى الآن يا أبت . فقال له الشيخ : إذاً أنت كهؤلاء الاخوة ، لأنك وان كنت تشترك في القديم قليلاً ، إلاّ أنك عرضة للخطيئة . فمضى الكاهن ودعا الاخوة واعتذر منهم وأعاد لهم اسكيمهم الرهباني ثم أطلقهم .

١٢ ـ اعترف أخ للأب بيمن قائلاً : لقد ارتكبت خطيئة كبيرة وأريد أن أتوب عنها ثلاث سنوات . قال له الشيخ : إن هذه مدة طويلة . أجابه الأخ : إذاً ، لسنة واحدة فقط ؟ قال : وهذا كثير أيضاً . فقال الحاضرون : وهل يكتفي بأربعين يوماً ؟ قال : وهذا كثير أيضاً . وقال : أقول لكم ، إنه إذا تاب الإنسان من كل قلبه وتوقف عن الخطيئة ، فإن الله يقبله حتى في ثلاثة أيام .

١٣ ـ وقال أيضاً : إن علامة الراهب تظهر في التجارب .

١٤ ـ وقال أيضاً : كما أن سيّاف الملك يقف إلى جانبه متأهباً على الدوام ، هكذا على النفس أن تكون متأهبة ومستعدة أمام شيطان الزنى .

١٥ ـ سأل الأب أنوف الأب بيمن عن الأفكار الدنسة التي يلدها قلب الإنسان وأيضاً عن الرغبات الباطلة ، فقال له الأب بيمن : « وهل تفتخر الفأس بدون من يقطع بها »(أشعياء ١٠ : ١٥) . أنت أيضاً ، لا تعطها مجالاً ، لئلا تبقى .

١٦ ـ وقال أيضاً : لو لم يأت رئيس الطهاة نبوزرادان[1] ، لما احترق معبد الرب . وهذا يعني أنه بدون التوقف عن محبة البطن ، يسقط العقل الأعلى في حربه مع العدو .

---

(١) ورد اسمه عدة مرات في العهد القديم . أنظر كيف أحرق بيت الرب(سِفْر الملوك الرابع ٢٥ : ٩) .

١٧ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه دعي للأكل رغماً عنه ، فذهب وهو يبكي لئلا يَعصَى طلب أخيه فيحزنه .

١٨ ـ وقال أيضاً : لا تسكن في مكان ترى فيه أناساً ممتلئين حسداً ضدك ، وإلاّ توقف تقدمك .

١٩ ـ أخبر البعض الأب بيمن عن راهب لا يشرب الخمر ، فقال : الخمر عموماً ليس للرهبان .

٢٠ ـ سأل الأب أشعيا الأب بيمن عن الأفكار النجسة ، فقال الأب بيمن : كما أن الثياب الكثيرة الموضوعة في خزانة ، لمدة طويلة ، تهترىء ، هكذا الأفكار ، إذا لم ننفذها جسدياً فإنها مع الوقت تتلاشى ، أي تهترىء .

٢١ ـ وسأل الأب يوسف الشيء نفسه ، فقال له الأب بيمن : كما أنه إذا وضع المرء ثعباناً أو عقرباً في وعاء ، يموتان مع الوقت ، هكذا الأفكار الشريرة التي تخرج من الشياطين ، فإنها بالصبر تتلاشى وتزول .

٢٢ ـ جاء أخ إلى بيمن وقال له : أزرع حقلي وأتصدق به . قال له الشيخ . حسناً تفعل . فمضى بعزم وضاعف إحسانه بنشاط . فسمع الأب أنوف بهذا ، فقال للأب بيمن : ألا تخاف الله ، فتتكلم هكذا مع الأخ ؟ فصمت الشيخ ، وبعد يومين دعا الأب بيمن الأخ وقال له على مسمع من الأب أنوف : ماذا قلت لي في المرة السابقة ؟ لأني كنت شارد الذهن . فقال له الأخ : قلت لك إنني أزرع حقلي وأتصدق به . فقال له الأب بيمن : كنت أظن أنك تحدثني عن أخيك الذي في العالم . ولكن إذا كنت أنت من يفعل هذا ، أقول لك إن هذا لا يليق بالرهبان . أمّا هو فلما سمع هذا حزن وقال : لا أعرف عملاً آخر ، ولا أستطيع أن أهمل حقلي . فلما مضى ، صنع له الأب أنوف مطانية (سجدة) وقال له : سامحني . فقال له الأب بيمن : وأنا منذ البدء كنت أظن أن الزراعة ليست عمل الرهبان . إلاّ أني تكلمت وفقاً لأفكاره وشجعته على

عمل المحبة . وهـا قد مضى حزينـاً ، وسيعمـل الشيء نفسه[1] .

٢٣ ـ قال الأب بيمن : إذا خطىء الإنسان ورفض الإعتراف بخطيئته قائلاً : « ما خطئت » ، لا تبكته وإلاّ فأنت تثبّط من عزيمته . ولكن إذا قلت له : لا تحزن يا أخي ، إنما انتبه للمستقبل ، فإنك تنهض نفسه إلى التوبة .

٢٤ ـ وقال أيضاً : الخبرة جميلة ، لأنها تجعل الإنسان ممتحناً أكثر .

٢٥ ـ وقال أيضاً : من يعلّم ولا يعمل بما يقول ، يشبعه عين ماء تسقي وتروي وتغسل كل شيء لكن لا تقدر أن تنظف نفسها .

٢٦ ـ بينما كان الأب بيمن يطوف في مصر ، صادف امرأة جالسة عند قبر تبكي بمرارة ، فقال : إذا انسكبت كل مباهج هذه الدنيا ، لا تقدر أن ترفع النوح عن نفس هذه المسكينة . هكذا الراهب ، يجب عليه أن يقتني النوح في قلبه على الدوام .

٢٧ ـ وقال أيضاً : هناك إنسان يبدو صامتاً ، لكن قلبه يدين كثيرين . مثل هذا الإنسان يتكلم باستمرار . وثمة آخر يتكلم من الصباح حتى المساء ، لكنه يلتزم الصمت . هذا يعني أنه لا يتكلم البتة بدون نفع .

٢٨ ـ جاء أخ إلى الأب بيمن وقال له : يا أبت عندي أفكار كثيرة تعرّضني للخطر . فاقتاده الأب إلى الهواء الطلق وقال له : أمدد صدرك وامسك الرياح . فقال : يستحيل عليّ القيام بهذا يا أبت . فقال له الشيخ : إذا كنت عاجزاً عن هذا ، أنت لا تقدر أن تمنع الأفكار عنك . ولكن بمقدورك أن تقاومها .

٢٩ ـ وقال أيضاً : إذا كان ثلاثة معاً ، الواحد يحيا السكينة جيداً ، والثاني يمرض

---

(١) الزراعة تفترض ملكية وتقود إلى زيادة الخيرات المادية وإلى التجارة ، لذلك لم يُسمح بها لرهبان مصر . أمّا العمل اليدوي فكان من أجل الكفاف اليومي ، لذلك كان يُسمح به وكان ضرورياً .

ويشكر ، والثالث يخدم بفكر طاهر ، فإن الثلاثة يقوّمون بالعمل نفسه .

٣٠ ـ وقال أيضاً : لقد قيل : « كما تتوق الإيل إلى ينابيع المياه ، كذلك تتوق نفسي إليك يا الله » ، لأن الإيل في البرية تلتهم زحافات كثيرة ، ويلهبها السمّ فتهرع إلى الماء وتغب منه لكي تبرّد لهيب السمّ فيها . هكذا الرهبان ، عندما يقيمون في البرية يلتهبون بسمّ الشياطين الأشرار ، فيطلبون السبت والأحد لكي يأتوا إلى ينابيع الماء ، أعني إلى جسد المسيح ودمه ، وذلك لكي يتطهروا ويتنقوا من مرارة الشرير .

٣١ ـ سأل الأب يوسف الأب بيمن قائلاً : كيف ينبغي أن نصوم ؟ قال له الأب بيمن : أريد المرء أن يأكل قليلاً كل يوم ولا يشبع . فقال له الأب يوسف : لما كنت شاباً ، ألم يكن صومك يومين يومين يا أبت ؟ قال الشيخ : بالطبع ثلاثة وأربعة وأسبوعاً . وكل هذه اختبرها الآباء ، لأنهم كانوا أقوياء . فوجدوا أن الأفضل هو أن يأكل الإنسان قليلاً كل يوم ، ثم سلّمونا الطريق الملوكي الخفيف .

٣٢ ـ قيل عن الأب بيمن إنه لما كان ينوي القدوم إلى الإجتماع ، كان يجلس منفرداً ليفحص أفكاره لمدة ساعة كاملة ، بعد ذلك كان يخرج .

٣٣ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : تُرك لي إرث ، ماذا أفعل به ؟ قال له الشيخ : إذهب وعدّ بعد ثلاثة أيام لأقول لك . فمضى وعاد في الوقت المحدد ، فقال له الشيخ : ماذا أقدر أن أقول لك يا أخي ؟ إذا قلت لك وزّع المال على الكنيسة ، هناك ينفقونها على الولائم . وإذا قلت لك أعطها لأحد أنسبائك ، لن يكون لك أجر . وإذا قلت لك أعطها للفقراء ، تصبح بدون همّ . إذن ، افعل ما تشاء . فأنا ليس عندي رأي في هذا .

٣٤ ـ سأله أخ آخر : ما معنى « لا تقابل شراً بشر » ؟ أجابه الشيخ : هذا الهوى له أربعة وجوه . الأول من القلب . والثاني من النظر . والثالث من اللسان .

والرابع هو لا تقابل شراً بشر . فإذا استطعت أن تنقّي قلبك ، لا يصل الهوى إلى النظر . وإذا بلغ إلى النظر ، انتبه أن لا تتكلم . وإذا تكلمت ، اقطعه على عجل وذلك لئلا تقابل شراً بشر .

٣٥ ـ وقال أيضاً : إن الإنتباه والصحو والتمييز هي الفضائلُ الثلاثُ التي ترفع النفس وتقودها .

٣٦ ـ وقال أيضاً : إن أدوات النفس هي أن يرمي الإنسان نفسه أمام الله ولا يعتبر نفسه البتة وأن يهمل مشيئته .

٣٧ ـ وقال أيضاً : أمام كل ألم يعتريك ، النصر هو الصمت .

٣٨ ـ وقال أيضاً : الشبع الجسدي ممقوت أمام الرب .

٣٩ ـ وقال أيضاً : النوح مزدوج . إنه يعمل ويحفظ .

٤٠ ـ وقال أيضاً : إذا جاءك فكر يطلب حاجات الجسد الضرورية ، فأذعنت له في المرة الأولى ، ثم جاءك ثانية ، فأذعنت له أيضاً ، ثم ثالثة ، فلا تكترث له ، لأنه عديم النفع .

٤١ ـ وقال أيضاً : سأل أخ الأب ألونيوس قائلاً : ما هو الازدراء ؟ قال الشيخ : هو أن تكون دون الحيوانات ، وأن تعلم أنها تخلو من العيب .

٤٢ ـ وقال أيضاً : إذا تذكّر المرء القول المكتوب « بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٧) فإنه سرعان ما يؤثر الصمت .

٤٣ ـ وقال أيضاً : التشتت هو بدء الشرور .

٤٤ ـ وقال أيضاً إن الأب إيسيذورس كاهن الاسقيط خاطب الشعب مرة وقال : اخوتي ، ألم نأت للتعب في هذا المكان ؟ لكن الآن لم يعد هناك من تعب . وأنا إذا أعددت معطفي اقدر أن أذهب إلى حيث التعب فأجد راحة .

٤٥ ـ وقال أخ للأب بيمن : إذا رأيتُ شيئاً هل تنصحني أن أبوح به ؟ قال له الشيخ : لقد كتب : من يجب بكلمة قبل أن يسمع ، يعمل بجهل . فإذا سئلت أجب ، وإلاّ فاصمت .

٤٦ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يستطيع المرء أن يثق بعمل واحد ؟ أجابه الشيخ أن الأب يوحنا الكولوفوس قال : أريد أن أشترك بجزء من الفضائل كلها .

٤٧ ـ وقال أيضاً : أخ سأل الأب بمفو إذا كان حسناً أن نمدح القريب ، فقال له : بالأحرى خير لك أن تصمت .

٤٨ ـ وقال الأب بيمن : إذا استطاع الإنسان أن يبني سماء جديدة وأرضاً جديدة ، لا يمكنه أن يكون بدون همّ .

٤٩ ـ وقال أيضاً : يحتاج الإنسان إلى التواضع ومخافة الله ، تماماً كالنفَس الذي يخرج من أنفه .

٥٠ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له الشيخ : عندما دخل إبراهيم أرض الميعاد ، اشترى لنفسه قبراً ، ولأجل القبر ورث الأرض . قال له الأخ : وما هو القبر يا أبت ؟ أجابه الشيخ : إنه مكان البكاء والنحيب .

٥١ ـ قال أخ للأب بيمن : إذا أعطيت أخي قليلاً من الخبز ، أو شيئاً آخر ، فإن الشياطين تفسده ، وكأن العمل هذا يحصل بداعي إرضاء الناس . قال له الشيخ : حتى ولو صار هذا بداعي إرضاء الناس ، فإننا سنعطي القريب ما هو بحاجة إليه . ثم ضرب له هذا المثل : كان هناك مزارعان يعيشان في مدينة واحدة . الواحد زرع فحصد قليلاً من الزرع الفاسد . أمّا الثاني فأهمل الزرع ، ولم يحصد شيئاً البتة . فإذا حدثت مجاعة كبيرة ، مَن من الإثنين سيعيش ؟ قال الأخ : ذاك الذي حصد الزرع الذي فيه فساد قليل . قال له

الشيخ : هكذا نحن ، فلنزرع قليلاً حتى ولو كان فاسداً لئلا نموت من الجوع .

٥٢ ـ وقال أيضاً الأب بيمن إن الأب عمون قال : إنسان يقضي السنة كلها وهو يمسك بفأس ولا يجد طريقة ليوقع الشجرة . وهناك آخر خبير بقطع الشجر يوقع الشجرة بضربات معدودات . فقال : إن الفأس هي التمييز .

٥٣ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك ؟ أجابه الشيخ : نرى دانيال أنه لم تكن عليه تهمة إلاّ في خدمة الرب إلهه .

٥٤ ـ وقال الأب بيمن : إن إرادة الإنسان سور نحاسي بينه وبين الله وحجر يصد الهجمات . فإذا هجرها الإنسان يقول هو نفسه « بعون إلهي أسوّر الأسوار » (مزمور ١٧ : ٣). فإذا تماشى البرّمع المشيئة ، يهلك الإنسان .

٥٥ ـ وقال أيضاً إنه بينما كان بعض الآباء جالسين يأكلون ، كان الأب ألونيوس يقف للخدمة . فلما رأوه امتدحوه . فلم يجب بكلمة البتة . فقال له أحدهم على انفراد : لماذا لم تجب الآباء عندما امتدحوك ؟ قال له الأب ألونيوس : إذا أجبتهم أكون قد قبلت المديح .

٥٦ ـ وقال أيضاً : الناس في أغلب الأحوال يتكلمون ، وفي القليل يعملون .

٥٧ ـ وقال الأب بيمن : كما أن الدخان يطرد النحل ، عندئذ يقطف الشهد والعسل معاً ، هكذا تطرد الراحة الجسدية مخافة الله من النفس وتصرفها عن العمل .

٥٨ ـ زار أخ بيمن في الأسبوعين من الصوم الأربعيني المقدس ، ولما اعترف بأفكاره ونال الحل ، قال له : كنت على وشك ألاّ أصل إلى هنا اليوم . قال له الشيخ : ولماذا ؟ قال الأخ : قلت في نفسي ، ربما لا يفتح لي الباب بسبب الصوم الأربعيني المقدس . قال له الأب بيمن : نحن لا نعرف أن نغلق الباب الخشبي لكن باب اللسان .

٥٩ ـ وقال أيضاً : يجب أن نهرب من الجسديات ، لأن الإنسان عندما يكون أمام حرب جسدية يشبه إنساناً يقف أمام جبّ عميق متى شاء العدو يرميه فيه . ولكن عندما يكون بعيداً عن الجسديات ، يشبه رجلاً يقف بعيداً عن الجبّ ، فالعدو وإن حاول أن يجرّه لكي يرميه فيه ، فإن الله يرسل له العون والمساعدة .

٦٠ ـ وقال أيضاً : الفقر والشدة والضيق والصوم هي أدوات السيرة الرهبانية ، لأنه مكتوب «ولو كان فيها هؤ لاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب ، فحيّ أنا يقول الرب » (حزقيال ١٤ : ١٤ ـ ٢١) . نوح هو صورة اللاقنية . وأيوب هو صورة الألم . ودانيال هو مثال التمييز . فإذا وجد الثلاثة معاً في الإنسان ، فإن الله يقيم فيه .

٦١ ـ قال الأب يوسف : لما كنا نقيم مع الأب بيمن ، كان يدعو اغاثون أباً ، وكنا نقول له : هو ما يزال شاباً بعد ، فلماذا تدعوه أباً ؟ قال الأب بيمن : إنّ أبوّته هذه هي بسبب فمه .

٦٢ ـ جاء أخ إلى بيمن وقال له : ماذا أعمل يا أبت ؟ إن فكر الزنى يزعجني . فها قد ذهبت إلى الأب افستيونا وقال لي : لا يجوز أن يظل فيك طويلاً . قال له الأب بيمن : إن الأب افستيون عنده أعمال ترفعه إلى الملائكة ، ويغيب عنه أننا (أنا وأنت) في خضمّ الزنى . وإذا صان الراهب بطنه ولسانه وغربته ، كن متأكداً ، أنه لا يموت .

٦٣ ـ قال الأب بيمن : علّم فمك أن ينطق بمكنونات قلبك .

٦٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا رأيت سقطة أخي ، هل يليق أن أكتمها ؟ قال له الشيخ : في اللحظة التي نكتم فيها سقطة أخينا ، يكتم الله سقطاتنا . ولكن عندما نكشفها ، فإن الله يكشف سقطاتنا .

٦٥ ـ وقال أيضاً إن أخاً سأل الأب باييسيوس قائلاً : ماذا أعمل ونفسي عديمة الإحساس ولا تخاف الله ؟ أجابه : اذهب والتصق بإنسان يخاف الله ،

وبملازمتك إياه يعلّمك كيف تخاف الله .

٦٦ ـ وقال أيضاً : إذا استطاع الراهب أن يغلب أمرين ، يمكنه أن يتحرر من العالم . فقال الأخ : وما هما يا أبت ؟ أجاب : الراحة الجسدية والمجد الفارغ .

٦٧ ـ سأل إبراهيم تلميذ الأب اغاثون الأب بيمن وقال له : كيف تحاربني الشياطين ؟ أجابه الأب : أنت تحاربك الشياطين ؟ الشياطين لا تحاربنا كوننا نصنع مشيئاتنا ، لأن مشيئاتنا أمست شياطين . وهذا ما يزعجنا عندما نطيعها . لكن إذا أردت أن ترى الذين تحاربهم الشياطين ، ها هي قد حاربت موسى ومن هم على شاكلته .

٦٨ ـ قال الأب بيمن : هذه السيرة أعطاها الله لإسرائيل ، أعني أن يبتعدوا عمّا هو بخلاف الطبيعة أي الغضب والسخط والحسد والكراهية والثرثرة والوقيعة ضد الأخ وكل ما ينتمي إلى العالم القديم .

٦٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : قل لي كلمة . أجابه : إن بداية العمل الذي وضعه الآباء هو النوح . فقال له الأخ ثانية : قل لي كلمة أخرى . أجابه الأب : إن استطعت أن تتصدق من عمل اليد ، فلا تتوانَ ، لأنه كتب أن الاحسان والإيمان يمحوان الخطايا . فقال الأخ : وما هو الإيمان ؟ قال الشيخ : أن يسلك الإنسان بتواضع وأن يفعل الصدقة .

٧٠ ـ وقال أخ للأب بيمن : إذا رأيت إنساناً سمعت أنه قد سقط ، لا أريد أن آتي به إلى قلايتي . ولكن إذا رأيت أنه قد عمل حسناً ، أفرح معه . قال له الشيخ : إذا صنعت قليلاً من الخير مع أخيك الصالح ، اجعل ضعف هذا مع الآخر ، لأن ذاك هو المريض . ثم ضرب له هذا المثل وقال : كان هناك ، في أحد أديار الحياة المشتركة ، متوحد يدعى تيموثاوس . فسمع الأب الرئيس عن تجربة جرت لأحد الإخوة ، فسأل الناسك تيموثاوس عن الأمر . فنصحه أن

يطرد الأخ . فلما طرده ، انتقلت تجربة الأخ إلى الناسك تيموثاوس حتى بات وضعه في خطر . فشرع يبكي أمام الرب قائلاً : لقد خطئت فسامحني . فجاءه صوت يقول : يا تيموثاوس ، لا تعتقد أن ما أصابك هو لأنك أغفلت الأخ ساعة تجربته .

٧١ ـ قال الأب بيمن : لأجل هذا نقع في تجارب كثيرة . لأننا لا نحفظ أسماءنا ولا نظامنا كما يقول الكتاب . ألا نرى امرأة حنانيا التي قبلت اسمها لأن المخلص أراحها . وأيضاً أبيجائيل لأنها قالت لداود « خطيئتي عليّ » فسمعها وأحبها . أبيجائيل تمثل النفس وداود هو صورة الألوهة . فالنفس إذا لامت نفسها أمام الرب فإنه يجيبها .

٧٢ ـ كان الأب بيمن يجتاز في أحد الأيام بصحبة الأب أنوف منطقة ذيولقوس ، ولما وصلا إلى القبور ، صادفا امرأة تنوح بشدة وتبكي بمرارة . فوقفا وفهما حالتها . ولما تابعا المسير قليلاً ، صادفا إنساناً ، فسأله الأب بيمن : ما بال تلك المرأة تبكي بمرارة ؟ قال له : مات زوجها وابنها وأخوها . فأجاب الأب بيمن وقال للأب أنوف : أقول لك إن الإنسان إذا لم يمُت كل مشيئات الجسد ولم يقتن هذا النوح ، لا يمكنه أن يصبح راهباً ، لأن حياة هذه المرأة وعقلها الأعلى هما في البكاء والنوح .

٧٣ ـ وقال الأب بيمن : لا تعتدّ بنفسك إنما التصق بمن يسلك حسناً .

٧٤ ـ وقال أيضاً : إذ زار أحد الأب يوحنا الكولوفي ، كان يعلّمه المحبة التي وردت عند الرسول : « المحبة تتأنّى وترفق » .

٧٥ ـ وقال أيضاً عن الأب بمفو : قال عنه الأب أنطونيوس إنه ، لكثرة مخافته الله ، جعل الروح القدس يسكن فيه .

٧٦ ـ قال أحد الآباء عن الأب بيمن واخوته إنهم كانوا يقيمون في مصر ، وإن أمهم التي كانت ترغب في رؤيتهم ، لم تتمكن من ذلك . فكانت تتابعهم من بعيد

وهم ذاهبون إلى الكنيسة . وقد قابلتهم ، ولكنّهم كانوا ، لمّا يشاهدونها ، يرجعون ويغلقون الباب في وجهها . أمّا هي فكانت تصرخ عند الباب منتحبة ببكاء شديد ، وتقول : دعوني أراكم يا أولادي الأحباء . فلما سمع الأب أنوف هذا الكلام ، جاء إلى الأب بيمن وقال له : ماذا نفعل بهذه العجوز التي تبكي عند الباب ؟ فلما وقف من الداخل ، سمعها تبكي بمرارة ، فقال لها : لماذا تبكي هكذا يا جدّة ؟ فلما سمعت صوته علا صراخها أكثر واشتد بكاؤها ، وقالت : أريد أن أراكم يا أولادي . فماذا في الأمر إذا شاهدتكم ؟ ألست أنا أمكم ؟ ألم أرضّعكم من لبني ؟ لقد وخط الشيب رأسي . قال لها الشيخ : وهل ترغبين في رؤيتنا هنا ، أم في ذلك العالم ؟ قالت له : إذا لم أركم هنا ، هل سأراكم هناك ؟ قال لها : إذا أرغمت نفسك على عدم رؤيتنا هنا ، ستشاهديننا هناك . فمضت مسرورة وهي تقول : إذا كان لا بد أن أراكم هناك ، فإني سوف أمسك نفسي عن رؤيتكم هنا .

٧٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ما هي الساميات ؟ قال له الشيخ : إنها عمل الصالحات .

٧٨ ـ جاء مرة بعض الهراطقة إلى الأب بيمن وبدأوا يوقعون برئيس أساقفة الإسكندرية على أن رسامته قد جرت على أيدي كهنة . فصمت الشيخ قليلاً ، ثم نادى أخاه وقال : ضع لهم الطاولة واعدد شيئاً من المأكول ، ثم أطلقهم بسلام .

٧٩ ـ قال الأب بيمن إن أخاً كان يقيم مع اخوته سأل الأب بيساريوس : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : أصمت ولا تعتدّ بنفسك .

٨٠ ـ وقال أيضاً : إن من لا يثق به قلبك ، لا تدعه يتمسك به .

٨١ ـ وقال أيضاً : إذا ازدريت نفسك فإنك ستجد راحة حيثما سكنت .

٨٢ ـ وقال أيضاً : قال الأب سيسوى إن هناك خزياً فيه خطيئة عدم الخوف .

٨٣ ـ وقال أيضاً : ان المشيئة والراحة والاعتياد عليهما من شأنها أن تحطّم الإنسان .

٨٤ ـ وقال أيضاً : إذا كنت محباً للصمت ستجد راحة أينما حللت .

٨٥ ـ وقال عن الأب بيور إنه في كل يوم كان يضع بداءة لشيء من الأشياء .

٨٦ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا سقط أخ في زلة وتاب ، هل يسامحه الله ؟ قال له الشيخ : إذا كان الله قد طلب من الإنسان أن يغفر لأخيه ، ترى ألا يفعل هو بالأحرى الشيء نفسه ؟ لأنه قال لبطرس : « سبعين مرة سبع مرات » (متى ١٨ : ٢٢) .

٨٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يحسن أن يصلّي الإنسان ؟ أجابه الشيخ : قال الأب أنطونيوس على لسان الرب « عزّوا عزّوا شعبي يقول الرب » (أشعياء ٤٠ : ١) .

٨٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يقدر الإنسان أن يضبط جميع أفكاره دون أن يسلم واحداً منها إلى العدو ؟ أجابه الشيخ : ثمة إنسان يأخذ عشرة ويعطي واحداً .

٨٩ ـ والأخ نفسه توجّه بالسؤال إلى الأب سيسوى ، فأجابه : بالطبع ، هناك من لا يقدّم للعدو شيئاً البتة .

٩٠ ـ كان هناك ناسك كبير يعيش حياة السكينة في جبل اثليفوس . فهاجمه بعض اللصوص ، فصرخ . فلما سمعه الآباء ، أمسكوا اللصوص وسلّموهم إلى الوالي فطرحهم في السجن . فحزن الاخوة قائلين : انهم أُسلموا بسببنا . فنهضوا ومضوا إلى الأب بيمن وأطلعوه على الأمر . فكتب إلى الشيخ قائلاً : عليك أن تدرك من أين كانت الخيانة الأولى ، عندئذ ترى الثانية . في الحقيقة

لو لم تكن الخيانة قد تمت من الداخل أولاً ، لما قمت بالخيانة الثانية[1] . فلما سمع رسالة الأب بيمن (وكان اسمه قد ذاع في تلك الأمصار ولم يخرج من قلايته) ، قام ومضى إلى المدينة وأخرج اللصوص من السجن وأعتقهم علناً .

٩١ ـ قال الأب بيمن : لا يمكن أن يكون هناك راهب كثير التشكّي .
لا يمكن أن يكون هناك راهب يقابل شراً بشر .
لا يمكن أن يكون هناك راهب غضوب .

٩٢ ـ زار بعض الشيوخ الأب بيمن وقالوا له : هل تعتقد أنه يحسن ، إذا ما رأينا الاخوة ينعسون في الكنيسة ، أن ننبّههم ونحثّهم على السهر في صلاة السهرانية ؟ فقال لهم : في كل حال ، إذا حدث أن رأيت أخاً ينعس ، للحال أتكىء رأسه على ركبتي لأريحه .

٩٣ ـ قيل عن أخ إنه قد جُرّب بالتجديف وخجل أن يفصح عنه . وكان حيثما يسمع بوجود شيوخ كبار ، يزورهم ليسألهم عن ذلك . ولكن ما إن يبلغ اليهم حتى يخجل من البوح بما في قلبه . ومراراً كثيرة زار الأب بيمن وكان الأب يرى أن عنده أفكاراً كثيرة ، فكان يحزن من أجله لعدم كشفها . وذات يوم ، بينما كان يرافقه قال له : منذ زمان بعيد وأنت تأتي إليّ وعندك أفكار كثيرة تريد أن تكشفها ، لكنك ما إن تبلغ إلى هنا حتى تخجل من البوح بها ، وهكذا تعود كل مرة حزيناً مكتئباً ، لأنك تحتفظ بها لنفسك . قل لي إذن يا ولدي ، ما الذي تشكو منه ؟ قال له : الشيطان يجرّبني بالتجديف على الله وأخجل أن أبوح بذلك . ولما كشف ما كان يقلقه ارتاح . فقال له الشيخ : لا تحزن يا ولدي ولكن عندما يأتيك هذا الفكر ، قل : « أنا لست مسؤولاً عن ذلك ، فليرتدّ التجديف عليك يا شيطان ، لأن نفسي لا تريد هذا » . إذ إن كل ما لا ترغب فيه النفس هو آنيّ . فمضى الأخ معافى .

(١) كان يجب على الناسك أن يترك اللصوص وشأنهم فيأخذوا ما يريدون كما فعل آخرون ، وليس أن يصرخ في طلب النجدة .

٩٤ ـ قال أخ للأب بيمن : إنني حيثما حللت أجد عوناً . قال له الشيخ : والذين يحملون السيوف في أيديهم ، يجدون الله رحيماً في الوقت الحاضر . فإذا كنا شجعاناً فإنه يرحمنا أيضاً .

٩٥ ـ قال الأب بيمن : إذا لام الإنسان نفسه ، فإنه يصبر على الشدائد أينما كان .

٩٦ ـ وقال أيضاً : قال الأب عمون إن هناك إنساناً أمضى مئة سنة في قلايته من غير أن يعلم كيف ينبغي أن يقيم فيها.

٩٧ ـ قال الأب بيمن : إذا بلغ الإنسان إلى معنى كلام الرسول « كل شيء طاهر للأطهار» (تيطس ١ : ١٥) ، فإنه يرى نفسه أصغر من الخليقة كلها. فقال له الأخ : إذا بلغ الإنسان إلى قامة هذه الآية ورأى إنساناً يقتل ، يقول : « هذا ، ارتكب هذه الجريمة فقط ، أمّا أنا فإني أقتل كل يوم » .

٩٨ ـ وطرح الأخ السؤال نفسه على الأب أنوف مضيفاً إليه ما قاله الأب بيمن ، فقال له الأب أنوف : إذا بلغ الإنسان قامة هذه الآية ، ورأى ضعفات أخيه ، فإنه يمارس برّه ويسترها له . فقال له الأخ . وما هو برّه ؟ أجابه الشيخ : أن يلوم نفسه على الدوام .

٩٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا سقطت سقطة يرثى لها فإن فكري ينهشني ويدينني ، لماذا سقطت ؟ قال له الشيخ : عندما يخطأ الإنسان ويقول « خطئت » لا يعود مذنباً .

١٠٠ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : لماذا تقنعني الشياطين لكي أكون مع من هو أرفع مني ، بينما تحرّضني على احتقار من هو أدنى مني ؟ أجابه الشيخ : لأجل هذا قال الرسول لا تكون في بيت كبير آنية من ذهب وفضة فحسب ، بل تكون فيه أيضاً آنية من خشب وخزف ، فبعضها لاستعمال شريف وبعضها لاستعمال خسيس . فإذا طهّر أحد نفسه من تلك الآثام ، يصير إناء شريفاً مقدساً أهلاً لاستعمال السيد ومستعداً لكل عمل صالح (٢ تيمو٢ : ٢٠) .

١٠١ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : كيف لا أكون حراً في أن أكون مع الشيوخ في أفكاري ؟ أجابه الشيخ : قال الأب كولوفوس إن العدو لا يفرح كثيراً إلاّ من الذين لا يظهرون افكارهم .

١٠٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إن قلبي يتوانى إذا استولى عليه تعب قليل . أجابه الشيخ : ألا نتعجب من يوسف المراهق الذي كان ابن سبع عشرة سنة ، كيف قاوم التجربة حتى النهاية ؟ فمجّده الله . ألا نرى أيوب كيف أنه لم يتراجع بل تمسك بالصبر حتى النهاية ؟ فلم تتمكن التجارب أن تزعزع إيمانه ورجاءه بالله .

١٠٣ ـ قال الأب بيمن : إن الحياة المشتركة تحتاج إلى أمور ثلاثة : عمل التواضع ، وعمل الطاعة والعمل الذي منطلقه ومركزه الحياة المشتركة .

١٠٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : في ساعة حزن أحاطت بي طلبت من أحد القديسين أمراً نافعاً ، فوهبني إياه مجاناً . فإذا ساعدني الله أنا أيضاً ، هل تكون تقدمتي لمن أحسن إليّ أو لأشخاص آخرين ؟ أجابه الشيخ : إنه لعادل في حكم الله أن يُعطى لذاك ، لأنه له . قال له الأخ : وإذا قدمتها له وأبى أن يأخذها قائلاً : إذهب واعطها لمن تشاء ، ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : في كل الأحوال ، الهدية هي له . فإذا قدّم لك إنسان شيئاً بإرادته دون أن تطلبه أنت ، فإن هذا الشيء صار ملكاً لك . ولكن إذا طلبت أنت سواء من راهب أو علماني ، ولم يشأ، بعد ذلك ، أن يقبله ، فمن الحق أن تقدمه لمن تشاء بعلمه وعن نفسه .

١٠٥ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه ولا مرة أراد أن يجعل كلمته فوق شيخ آخر ، بل كان يمدحه في كل شيء .

١٠٦ ـ قال الأب بيمن : كثيرون من آبائنا صاروا رجالاً في النسك ، لكن في دقة الأفكار واحد أو اثنان .

١٠٧ ـ لما كان الأب اسحق جالساً إلى جانب الأب بيمن، سمع صوت طائر، فقال له : هل يوجد مثل هذه الأصوات هنا ؟ أجابه الأب : إسحق ، لماذا ترغمني على الكلام ؟ أمثالك يصغون إلى هذه الأصوات . لكن من يسهر لا يكترث لها .

١٠٨ ـ قالوا ، إنه لما كان البعض يأتون إلى الأب بيمن ، كان يرسلهم إلى الأب أنوف أولاً ، لأنه أكبر سناً . أمّا الأب أنوف فكان يقول لهم : اذهبوا إلى الأب بيمن ، لأن عنده موهبة الكلام . فلما كان الأب أنوف يجلس إلى جانب الأب بيمن ، لم يكن الأب بيمن يتكلم في حضرته .

١٠٩ ـ كان هناك رجل من أهل الدنيا تقيّ في حياته وسيرته ، زار مرة الأب بيمن بينما كان عنده اخوة آخرون جاؤوا إليه يطلبون أن يسمعوا منه كلمة . فقال الأب بيمن لذاك المؤمن : قل للاخوة كلمة . أمّا ذاك فكان يتوسل إليه قائلاً : سامحني يا أبت ، أنا هنا لكي أتعلم . فلما أرغمه الأب على الكلام قال : أنا من أهل الدنيا ، أبيع الخضار وأتاجر بها . أحلّ الحزم الكبيرة وأحوّلها إلى أخرى أصغر منها . أشتري الرخيص وأبيعه بثمن مرتفع . ولا أعرف أن أتكلم من الكتاب المقدس . وسوف أسوق لكم مثلاً : قال رجل لصديقه : إني أرغب في أن أرى الملك ، فهلمّ معي . فقال له صديقه : سأرافقك إلى منتصف الطريق . فقال لصديق آخر : هلمّ أوصلني إلى الملك . فقال له الصديق : سأقودك إلى البلاط ثم أتوقف وأتكلم ، بعد ذلك أدخلك إلى الملك . فسألوه : وما معنى هذا المثل ؟ أجابهم : إن الصديق الأول هو النسك الذي يقود حتى الطريق . والثاني هو العفة التي تقود حتى السماء . أمّا الثالث فهو الإحسان الذي يقود بثقة إلى الملك السماوي . فلما سمع الاخوة هذا الكلام ، غادروا المكان منتفعين .

١١٠ ـ بقي أخ خارج قريته ولم يصعد إليها لسنوات عديدة ، فقال للاخوة : ها

إن لي سنين كثيرة لم أصعد فيها إلى قريتي ، بينما أنتم تصعدون إليها باستمرار. فأبلغوا عنه الأب بيمن فقال : أنا كنت أصعد إليها في الليل تحت جناح الظلام وأطوف بها لئلا يفتخر فكري بأنني لا أصعد إليها البتة .

١١١ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : قل لي كلمة . أجابه الشيخ : عندما تشتعل النار تحت المرجل ، لا تقدر الذبابة أو سواها من الحيوانات الزاحفة أن تدنو منه . لكن عندما يبرد ، فإنها تتمكن حتى من الجلوس فوقه . هكذا هو الراهب ، كلما ثابر على أعماله الروحية ، فإن العدو لا يجد مكاناً يقتحمه منه .

١١٢ ـ قال الأب يوسف عن الأب بيمن إنه قال : هذا هو الكلام الذي كتب في الإنجيل : « من له ثوب فليبعه ويشتر سيفاً » (لوقا ٢٢ : ٣٦) . أي من يتنعم بالراحة ، عليه التخلي عنها بغية سلوك الطريق الضيّق .

١١٣ ـ سأل بعض الآباء الأب بيمن قائلين : إذا رأينا أخاً يخطأ ، هل نوبّخه؟ قال لهم الشيخ: في كل حال، إذا اضطررت أن أجتاز من هناك، ورأيته يخطأ ، أتجاوزه ولا أوبّخه.

١١٤ ـ قال الأب بيمن : لقد كتب : « اشهد بما رأته عيناك » (أمثال ٢٥ : ٨) . أمّا أنا فأقول لكم لا تشهدوا حتى ولو لمستم الأمر بأيديكم ، لأن أحد الاخوة خدع من ذاته إذ تراءى له أنه رأى أخاه يخطأ مع امرأة . فلما حاربته الفكرة هذه كثيراً ، دنا منهما ولمسهما برجله ظاناً أنه قد بلغ ضالته وقال : كفى ، إلى متى ؟ للحال وجد نفسه أمام حزمتين من القمح . لهذا قلت لكم إنه حتى ولو لمستم الأمر بأيديكم لا توبّخوا .

١١٥ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل إذ أحارب بالزنى والغضب ؟ أجابه الشيخ : لأجل هذا قال داود : « سحقت الأسد وخنقت الدبّ » (١ مل ١٧ : ٣٥) ، أي أنني استأصلت الغضب وضيّقت على الزنى بالأتعاب .

١١٦ ـ وقال أيضاً : لا يستطيع الإنسان أن يجد محبة أعظم من بذل النفس عن

القريب (يوحنا ١٥ : ١٣) ، لأن الإنسان ، إذا ما سمع أمراً شريراً ، أي محزناً ـ مع العلم أنه هو نفسه قد يقول أمراً مماثلاً ـ وجاهد لئلا ينطق به ، أو إذا صار ضحية الطمع ، فاحتمل ، فإن مثل هذا قادر أن يبذل حياته عن قريبه .

١١٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : من هو المرائي ؟ أجابه الشيخ : هو من يعلّم قريبه أمراً لم يبلغ هو إليه ، لأنه مكتوب : « ولماذا تنظر إلى القذى في عين أخيك ، وها هي الخشبة في عينك أنت » (متى ٧ : ٣) ، وهكذا دواليك .

١١٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : وما معنى أن يغضب الإنسان على أخيه دون سبب ؟ (متى ٥ : ٢٢) ، فقال : إذا غضبت لكل جشع يمارسه أخوك ضدك ، فإنك تغضب دون سبب . فإذا قلع عينك اليمنى وقطع يدك اليمنى أيضاً وغضبت عليه ، فإنك تغضب دون سبب . ولكن إذا فصلك عن الله ، حينئذ إغضب .

١١٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أفعل بخطاياي ؟ أجابه الشيخ : من أراد التحرر من خطاياه ، يتخلص منها بالبكاء . ومن أراد أن يجني الفضائل ، يقتنيها بالبكاء ، لأن البكاء هو الطريق الذي سلّمه إلينا الكتاب المقدس والآباء قائلاً : ابكوا ونوحوا . في الحقيقة ليس هناك من طريق سواه يا ولدي .

١٢٠ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : وما هي التوبة عن الخطيئة ؟ أجابه الشيخ : إنها أن لا نرتكب الخطيئة فيما بعد . لأجل هذا دعي الأبرار بلا عيب ، وذلك لأنهم هجروا الخطيئة فصاروا أبراراً .

١٢١ ـ وقال أيضاً : إن شر الناس يختبىء وراءهم .

١٢٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أفعل بالإضطرابات التي تزعجني ؟ أجابه

الشيخ : فلنبك أمام الله في كل أتعابنا ، إلى أن يعلن لنا رحمته .

١٢٣ ـ ثم سأله الأخ قائلاً : وماذا أفعل بصداقاتي غير المجدية يا أبت ؟ أجابه : هناك من يحشرج حتى الموت ، إلاّ أنه ينتبه لصداقات هذا العالم . فلا تقترب منها ولا تلمسها ، وبعد ذلك فإنها بمفردها تبتعد عنك .

١٢٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : هل يستطيع المرء أن يكون كالميت ؟ أجابه الشيخ : إذا وصل إلى الخطيئة يموت ، وإذا وصل إلى الصلاح ، فإنه يحيا ويعمل الصلاح .

١٢٥ ـ حدّثنا الأب بيمن أن الأب أنطونيوس قال : إن قوة الإنسان الكبرى تكمن في أن يضع خطيئته دوماً نصب عينيه أمام الله وأن ينتظر التجربة حتى النسمة الأخيرة .

١٢٦ ـ سئل الأب بيمن : ولمن يتوجه القول المكتوب « لا تهتموا للغد . . . » (متى ٦ : ٣٤) ؟ أجاب : لقد قيل هذا للإنسان الذي تأتيه التجارب فلا يكترث كثيراً ، وذلك لئلا يهتم قائلاً : وكم سيطول بقاء هذه التجربة معي ؟ فبالأحرى به أن يفكر يومياً ويقول : « اليوم » .

١٢٧ ـ وقال أيضاً : أن يعلّم الإنسان قريبه ، فهذا من شأن الصُمّ والعديمي الأهواء ، لأنه ما قيمة الإنسان إذا بنى بيت قريبه وهدم بيته .

١٢٨ ـ وقال أيضاً : ما حاجة الإنسان إذا مضى إلى مهنة ولم يتعلّمها ؟

١٢٩ ـ وقال أيضاً : كل ما يتجاوز القياس هو من الشياطين .

١٣٠ ـ وقال أيضاً : عندما يزمع الإنسان أن يبني بيتاً ، فإنه يجمع طاقات كثيرة لكي يرفعه وينهض به . هكذا نحن ، علينا أن نأخذ قليلاً من كل الفضائل .

١٣١ ـ سأل بعض الآباء الأب بيمن قائلين : وكيف احتمل الأب نيسثروس تلميذه هكذا ؟ أجابهم الشيخ : لو كنت مكانه لجعلت وسادة تحت رأسه .

فقال له الأب أنوف: وماذا سيكون جوابك إلى الله ؟ أجابه الشيخ : سأقول له : أنت القائل : « أخرج الخشبة من عينك حتى تبصر جيداً فتخرج القذى من عين أخيك » (متى ٧ : ٥) .

١٣٢ ـ وقال الأب بيمن : إن الجوع والنعاس ما تركانا نرى هذه التفاهات .

١٣٣ ـ وقال أيضاً : كثيرون صاروا أقوياء ، لكن القليلين يحثّون على المحبة (عبر ١٠ : ٢٤) .

١٣٤ ـ ثم قال بتنهد : كل الفضائل دخلت إلى هذا البيت ما عدا واحدة هي التي ، بدونها ، بالجهد يصمد الإنسان . فسألوه : وما هي ؟ قال : أن يلوم الإنسان نفسه .

١٣٥ ـ كان الأب بيمن يقول : لا تحتاج إلى أحد ، إلاّ إذا كان عنده ذهن صاح ويقظ .

١٣٦ ـ سأل أحد الآباء الأب بيمن قائلاً : من هو القائل : « رفيق أنا لكل الذين يتقونك ويحفظون وصاياك » (مزمور ١١٨ : ٦٣) ؟ أجابه الشيخ : هو الروح القدس .

١٣٧ ـ قال الأب بيمن إن أحد الاخوة سأل الأب سمعان قائلاً : إذا غادرت قلايتي ووجدت أخي مشغولاً فانشغلت معه ، وإذا وجدته يضحك فضحكت معه ، لا أشعر لدى عودتي إلى القلاية أن في قلبي راحة . قال له الشيخ : وهل تريد أن تغادر قلايتك فتشغل مع المنشغلين وتضحك مع الضاحكين ثم تعود إليها وتبقى كما كنت قبل أن تغادرها ؟ قال له الأخ : ولكن ماذا ؟ فأجابه الشيخ : صن نفسك في القلاية وخارجها .

١٣٨ ـ قال الأب دانيال : أتينا لزيارة الأب بيمن وتناولنا الطعام معه . وبعد الطعام قال : إذهبوا وخذوا لكم قسطاً من الراحة يا إخوتي . فمضى الاخوة

وفعلوا كما قال لهم . أمّا أنا فبقيت لأكلّمه على انفراد ، ونهضت لأذهب إلى قلايته . فلما رآني أدخل عليه تظاهر بأنه نائم ، لأن عمله كان أن يجاهد في الخفاء .

١٣٩ ـ قال الأب بيمن : إذا رأيت مشاهد وسمعت أنباء مهما كانت ، لا تنقلها لقريبك ، لأن هذا من شأنه أن يثقل الحرب عليه .

١٤٠ ـ وقال أيضاً : للمرة الأولى اهرب . وللمرة الثانية اهرب . لكن في الثالثة كن كالسيف .

١٤١ ـ قال الأب بيمن للأب إسحق : خفّف قليلاً من برّك فترتاح في أيامك القليلة .

١٤٢ ـ زار أخ الأب بيمن ، ولما كان الاخوة جالسين ، امتدح هذا الأخ أحدهم لأنه يمقت الشرير . فقال الأب بيمن للذي تكلم : وما معنى مقت الشرير ؟ فانذهل الأخ ولم يجد ما يجيبه به . فنهض وسجد للشيخ وقال له : قل لي يا أبت ما معنى مقت الشرير ؟ أجابه الشيخ : إن مقت الشرير هو أن يمقت الإنسان خطاياه ويبرّر خطايا قريبه .

١٤٣ ـ زار أخ الأب بيمن وقال له : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : اذهب وادنُ ممن يقول : « ماذا أريد » ؟ فتجد راحة .

١٤٤ ـ حدّثنا الأب يوسف عن الأب إسحق أنه قال : كنت جالساً في أحد الأيام إلى جوار الأب بيمن فرأيته في حالة من الوجد الروحي . ولما كنت أثق به كثيراً ، سجدت له وقلت : أخبرني يا أبت ، أين كنت ؟ فاضطر الشيخ إلى القول : كان فكري عند مريم والدة الإله التي كانت واقفة عند الصليب تبكي . وكم أردت لو أبكي مثلها باستمرار .

١٤٥ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً: ماذا أفعل بالعبء الذي يلازمني؟ أجابه

الشيخ : إن للسفن الصغيرة والكبيرة أحزمة ، حتّى إذا لم يكن هناك ريح موافقة ، يجعلون الحبال والأحزمة على صدورهم ، وشيئاً فشيئاً يتمكنون من جذب السفينة ، وهذا يبقى حتى يرسل الله الريح . وإذا علموا أن الظلام قد حلّ ، عندئذ يندفعون ويلقون وتداً لئلا تتحرك .

١٤٦ ـ سأل أخ الأب بيمن عن تأثير الأفكار، فقال له الشيخ : إن هذا يشبه رجلاً يمسك ناراً بيسراه ، ووعاء ماء بيمناه . فإذا أشعل النار ، يأخذ من الماء الذي في الوعاء ويخمدها . فالنار هي زرع العدو . أمّا الماء فهي أن تطرح نفسك أمام الله .

١٤٧ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ما الأفضل ، الكلام أم الصمت ؟ أجابه الشيخ : إن من يتحدث عن الله فحسناً يفعل ، ومن يصمت حباً بالله يماثله .

١٤٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : وكيف يستطيع المرء أن يهرب من الكلام السيء ضد قريبه ؟ أجابه الشيخ : نحن واخوتنا صورتان ، ففي اللحظة التي ينتبه فيها الإنسان لذاته ، ويلوم نفسه ، يجد أخاه مكرّماً في عينيه ، ولكن عندما يرى نفسه صالحاً ، فإنه يجد أخاه شريراً في عينيه .

١٤٩ ـ سأل أخ الأب بيمن عن التثاقل والفتور ، فقال له الشيخ : التثاقل موجود في كل بداءة ، وليس ثمة هوى أردأ منه . ولكن إذا عرف الإنسان ماهيته يرتاح .

١٥٠ ـ وقال الأب بيمن : رأينا للأب بمفو ثلاثة أعمال جسدية : الصوم حتى المساء كل يوم ، والصمت وعمل اليد الكثير .

١٥١ ـ وقال أيضاً : كان الأب ثيوناس يقول : حتى ولو اكتسب الإنسان فضيلة ، فإن الله لا يقدم له وحده النعمة ، لأنه يعرف أنه لم يكن أميناً في تعبه . ولكن إذا انتقل إلى رفيقه ، عندئذ يبقى بقربه .

١٥٢ ـ قال أخ للأب بيمن : أريد أن أدخل وأعيش في دير فيه حياة شركة . أجابه الشيخ : إذا أردت أن تدخل إلى دير ذي حياة مشتركة ، ولم تكن عديم الهمّ في كل لقاء وفي كل شيء ، يستحيل عليك أن تعمل فيه ، لأنه ليس لك من سلطان على دورق الماء .

١٥٣ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل ؟ قال له : إنه مكتوب : « لأني أعرف اثمي وأهتم من أجل خطيئتي » (مزمور ٣٧ : ١٨) .

١٥٤ ـ قال الأب بيمن : لا يجوز للإنسان أن يتذكر الزنى والوقعية وحتى أن يفكر بهما في قلبه ، لأنه إذا أراد أن يميّز بينهما في داخله ، لن ينتفع . لكن إذا تغرّب عنهما يرتاح .

١٥٥ ـ وقال الاخوة للأب بيمن : لنرحل من هذا المكان لأن أديرته تزعجنا فنهلك نفوسنا . والأولاد الذين يبكون لا يدعوننا نهدأ . أجابهم الأب بيمن : وهل تغادرون المكان بسبب أصوات الملائكة ؟

١٥٦ ـ سأل الأب بيتيميوس الأب بيمن قائلاً : إذا حزن أحد بسببي فأظهرت له توبتي لكنه لم يقتنع ، ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : خذ معك اثنين وأظهر توبتك أمامه ، وإذا لم يقتنع خذ خمسة . وإذا لم يقتنع ، خذ معك كاهناً . وإذا لم يقتنع عندئذ صلّ إلى الله بدون انزعاج لكي يرضيه ، أمّا أنت فكن عديم الهمّ .

١٥٧ ـ وقال الأب بيمن : إن تعليم القريب شبيه بتوبيخه .

١٥٨ ـ وقال أيضاً : لا تشبع مشيئتك ، لكن بالأحرى ذلّل نفسك لأخيك .

١٥٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : لقد رأيت مكاناً فيه كل راحة للاخوة ، هل تنصحني أن أقيم هناك ؟ أجابه الشيخ : اسكن حيث لا تؤذي أخاك .

١٦٠ ـ وقال الأب بيمن : إن الثلاثة هذه نافعة : مخافة الرب ، والصلاة ،

والإحسان إلى القريب .

١٦١ ـ قال أخ للأب بيمن : إن جسدي قد أضناه المرض ، أمّا أهوائي فلم تمرض . أجابه الشيخ : الأهواء هي القيح الكثير .

١٦٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل ؟ أجابه الشيخ : عندما يفتقدنا الله بماذا يكون اهتمامنا ؟ قال له الأخ : بخطايانا . قال الشيخ : فلندخل إلى مخادعنا ونتذكر خطايانا ، والرب يعيننا في كل شيء .

١٦٣ ـ بينما كان أحد الاخوة ذاهباً الى السوق ، صادف الأب بيمن فسأله : ماذا تريدني أن أعمل ؟ أجابه الشيخ : كن صديقاً لمن يقسو على نفسه ، فتبيع سلالك بسهولة .

١٦٤ ـ قال الأب بيمن : علّم فمك أن ينطق بمكنونات قلبك .

١٦٥ ـ سئل الأب بيمن عن الدنس فقال : إذا تجاوزنا ما هو عمليّ وثابرنا على الصحو بنشاط لن يكون في داخلنا دنس أو نجاسة .

١٦٦ ـ قال الأب بيمن : منذ المرحلة الثالثة من حياه رهبنة الاسقيط ، ومنذ عصر الأب موسى ، لم يبلغ الاخوة بعد إلى تقدم روحي حقيقي [١] .

١٦٧ ـ وقال أيضاً : إذا قام الإنسان بواجباته لا يضطرب .

١٦٨ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : كيف أقيم في قلايتي ؟ قال له : للجلوس في القلاية يبدو أنه عليك بعمل اليد والأكل بمفردك والصمت مع الدرس . أمّا النمو الخفي فهو أن تحتمل صغر النفس حيثما كنت ، وألاّ تهمل ساعات الإجتماع وساعات الاختلاء . وإذا حدث أن تأخرت بسبب عمل اليد ، ما أن تدخل الإجتماع عجّل إلى اتمام عملك بدون اضطراب . أمّا ذروة هذه فهي أن تقتني لك رفقة صالحة وتبتعد عن المعاشرة الرديئة .

(١) الأب بيمن ينتمي إلى الجيل الخامس من أجيال الاسقيط.

١٦٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : إذا كان لي على أحد مالٌ ، هل تنصحني أن أطلبه منه ؟ أجابه الشيخ : أطلبه منه مرة واحدة . فقال له الأخ : وماذا أعمل ؟ إني لا أقدر أن أسيطر على أفكاري . أجابه الشيخ : اترك فكرك يجري . ألا يكفي ألاّ تحزن أخاك .

١٧٠ ـ حدث أن زار بعض الآباء بيت إنسان محب للمسيح ، وكان معهم الأب بيمن . ولما كانوا يأكلون ، دفع إليهم لحم ، فأكل الجميع ما عدا الأب بيمن . فتعجب الجميع من موقفه لكونهم يعرفون تمييزه . فلما رفع الطعام ، قالوا له : هل أنت بيمن الذي فعل هكذا ؟ أجابهم الشيخ : سامحوني أيها الآباء ؛ فأنتم أكلتم ولم يعثر أي إنسان . لكن إذا أكلت أنا وحولي جماعة من الرهبان ، لأعثروا وقالوا : وهل يأكل بيمن اللحم ونحن لا نأكل ؟ فتعجبوا من تمييزه .

١٧١ ـ قال الأب بيمن : أقول بأني سوف أطرح حيث يرمى الشيطان .

١٧٢ ـ هو نفسه قال للأب أنوف : « أبعد نظرك عني لئلا ترى الباطل » (مزمور ١١٨ : ٣٧) لأن الحرية تقتل نفوس الكثيرين .

١٧٣ ـ تشاجر مرة الأب باييسيوس مع أخيه حتى جرى الدم من رؤوسهم ، وكان يجلس على مقربة منهما الأب بيمن دون أن يفتح فاه . فدخل الأب أنوف ، ولما رآهما قال للأب بيمن : لماذا تركتهما يتشاجران دون أن تقول لهما كلمة ؟ أجابه الأب بيمن : إنهما أخوان ، وسوف يعيشان بسلام من جديد . فقال له الأب أنوف : ما هذا الذي تقوله ؟ رأيتهما يتشاجران ، وتقول أنهما سيعيشان بسلام من جديد ؟ قال له الأب بيمن : افترض أني لم أكن هنا .

١٧٤ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ثمة إخوة يقيمون معي ، هل تنصحني أن أعطيهم أوامر ؟ أجابه الشيخ : كلا ، لكن في البدء قم بعملك ، وإذا رغبوا أن يعيشوا ، سوف يهتمون بأنفسهم . قال له الأخ : إنهم يرغبون يا أبت في

أنْ تأمرهم . أجابه الشيخ : لا ، بل كن قدوة في كل شيء وليس مشرّعاً .

١٧٥ ـ قال الأب بيمن : إذا زارك أخ ، ورأيت أنك لم تنتفع بدخوله ، فتش في فكرك واعلم ماذا كان الفكر الذي كان عندك قبل دخوله ، عندئذ تدرك سبب عدم انتفاعك . وإذا فعلت هذا بتواضع وتعقل ، ستكون وإياه بسلام ، كونك تحتمل عيوبه . لأن الإنسان إذا وشّح سيرته الرهبانية بالورع والتقوى لا يسقط ، فالله أمامه . وأرى أن الإنسان سوف يجني من هذه السيرة مخافة الله .

١٧٦ ـ وقال أيضاً : من يساكن ولداً ويسلك نحوه بهوى من أهواء الإنسان القديم ، ويستمرّ على تمسكه به ، يشبه انساناً عنده حقل تلتهمه الديدان والحشرات .

١٧٧ ـ وقال ايضاً : الشر لا يبطل الشر ابداً . إنما إذا أساء اليك أحد ، احسن اليه ، لأنك بذلك تضحد الشر .

١٧٨ ـ وقال أيضاً : إن داود لما عارك الأسد ، أمسك به من رقبته وللحال قتله . ونحن أيضاً ، إذا أمسكنا بحلقنا وبطننا نغلب ، بالله ، الأسد غير المنظور .

١٧٩ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : ماذا أعمل عندما يأتيني الضيق فأضطرب ؟ أجابه الشيخ : العنف من شأنه أن يجعل الصغار والكبار يضطربون .

١٨٠ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه أقام مع أخوين له في الاسقيط ، وكان الأصغر فيهما يزعجهما . فقال الأب بيمن للأخ الآخر : إن هذا الصغير يقلقنا . هلمّ نرحل من هنا . فخرجا وتركاه . فلما رأى أنهما قد تأخرا ، ولاحظ أنهما يبتعدان ، انطلق في أثرهما وهو يصرخ . فقال الأب بيمن : فلننتظر أخانا لأنه قد تعب . فلما دنا منهما سجد لهما وقال : هل تذهبان وتتركانني لوحدي ؟ أجابه الشيخ : لقد عزمنا على الرحيل لأنك تزعجنا . فقال لهما : نعم ، نعم ، فلنذهب إلى حيث تريدان . فلما رأى الشيخ طيبته وبراءته قال لأخيه : لنعد يا

أخي ، لأن أخانا هذا لا يفعل هذا برضاه ، بل الشيطان يرغمه على ذلك . فقفل الجميع عائدين .

١٨١ ـ سأل رئيس دير الأب بيمن قائلاً : كيف أقدر أن أقتني مخافة الله ؟ أجابه الأب : كيف نقتني مخافة الله وفي ديرنا براميل من الجبن وصناديق ملآنة بالأطعمة المملّحة ؟

١٨٢ ـ سأل أخ الأب بيمن قائلاً : يا أبت ، كان هناك إنسانان ، الواحد راهب والثاني من أهل العالم . ففكر الراهب عند المساء في أن يرمي بإسكيمه في الصباح ، أمّا الذي من أهل العالم ففكر في أن يصبح راهباً . لكن ، في تلك الليلة مات الإثنان . ترى ما هو حساب كل منهما ؟ أجابه الشيخ : الراهب مات وهو راهب ، والثاني مات وهو من أهل العالم . إذاً الإثنان ماتا بالصفة التي كانا عليها .

١٨٣ ـ قال الأب يوحنا : نزلنا مرة من سوريا لزيارة الأب بيمن وأردنا أن نسأله عن قساوة القلب ، ولم يكن الشيخ يعرف اليونانية ولم يكن المترجم بيننا آنذاك . فلما رآنا مضطربين طفق يتكلم معنا باليونانية ويقول : إن طبيعة الماء ناعمة أمّا طبيعة الحجر فقاسية . فالماء إذا نزل على الصخرة قطرة قطرة يثقبها . هكذا فكلمة الله ناعمة ، وقلبنا قاس . والإنسان إذا سمع كلمة الله باستمرار ، ينفتح قلبه على مخافة الله[1] .

١٨٤ ـ زار الأب إسحق الأب بيمن ، فلما رآه يسكب قليلاً من الماء على قدميه ، قال له بالدالّة التي له عليه : كيف أن البعض مارسوا قساوة كبيرة وقد قسوا على أجسادهم ؟ أجابه الأب بيمن : نحن لم نتعلم أن نكون قاتلي أجساد ، بل قاتلي أهواء .

---

(١) من جهة التكلم باليونانية ، من الواضح أن الأب كان يعرفها ، لكنه كان يستخدم القبطية عادة .

١٨٥ ـ وقال أيضاً : ثلاثة لا أقدر أن أقلع عنها : الطعام ، واللباس ، والنوم . ولكن نقدر أن نتخلى عنها أحياناً .

١٨٦ ـ قال أخ للأب بيمن : أتناول الكثير من الخضار . قال له الأب : هذا لا يوافقك ، فكُلْ خبزك مع قليل من الخضار فقط . ولا تذهب إلى بيت أبيك من أجل حاجتك .

١٨٧ ـ قالوا عن الأب بيمن إنه لما كان يجالس الآباء ويدور الحديث على شيوخ غائبين ويذكر اسم الأب سيسوي ، كان يقول : اتركوا سيسوى وشأنه لأن أموره لم يصل أحد إلى قامة الحديث عنها .

الأب بمفو

١ ـ كان هناك أب يدعى بمفو قيل عنه إنه بقي ثلاث سنوات يتضرع إلى الله ويقول : لا تمجّدني على الأرض . إلاّ أن الله مجّده كثيراً حتى أن الناس ما عادوا يقدرون أن يحدقوا في وجهه من شدة المجد الذي كان يسطع منه .

٢ ـ جاء بعض الاخوة إلى الأب بمفو وسأله أحدهم قائلاً : يا أبت ، إني أصوم يومين يومين وآكل خبزتين . ترى هل أنا أهلك نفسي أم أخلّصها ؟ وقال له آخر : يا أبت ، وأنا أنفق من عمل يدي قيراطين في اليوم واحتفظ بالقليل للطعام ، والباقي أتصدق به . تُرى هل أهلك أم أخلص ؟ وبالرغم من توسلهما إليه ، لم يجبهما بكلمة . لكن بعد أربعة أيام ، كان يجب أن يرحلا ، فكان الكهنة يعزّونهما قائلين : لا تحزنا أيها الأخوان لأن الله سيعطيكما أجراً . هكذا كانت عادة الشيخ أن لا يتكلم بسهولة حتى ولو كشف الله له الأمر . فدخلا على الشيخ وقالا له : يا أبانا ، صلّ من أجلنا . فقال لهما : هل ستذهبان ؟ قالا : نعم . فأخذ على عاتقه أعمالهما ، وكتب على الأرض : إن بمفو يصوم يومين يومين ويأكل خبزتين ، تُرى هل يصير بهذا راهباً ؟ لا . ثم إن بمفو يعمل بقيراطين ، ويتصدق بها . ترى هل يصير بهذا راهباً ؟ بالطبع لا . فقال لهما : حسنة هي الأعمال ، لكن إذا حفظتما ضميركما نقياً تجاه القريب ، تخلصان . فذهبا فرحين ، لأنهما اكتفيا بما قيل .

٣ ـ زار أربعة من الاسقيطيين الأب بمفو الكبير وهم يلبسون الجلد . فذكر كل واحد فضيلة رفيقه . الأول يصوم كثيراً والثاني عديم القنية والثالث كثير المحبة وقالوا عن الرابع إنه يعيش تحت طاعة أحد الشيوخ منذ ٢٢ سنة . فقال لهم الأب بمفو : أقول لكم إن فضيلة الأخير هي الأعظم ، لأن كل واحد منكم قد

احتفظ بالفضيلة التي اقتناها بإرادته . أمّا هذا فتخلّى عن إرادته الخاصة وتمسك بإرادة آخر . هؤلاء الرجال ، إذا ظلوا هكذا حتى النهاية ، هم مثل المعترفين .

٤ ـ توسّل الطيّب الذكر أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندرية إلى الأب بمفو أن ينزل إليه إلى الإسكندرية ، فنزل ورأى هناك ممثّلة ، فغصّت عيناه بالدموع . فاستعلم مرافقوه قائلين : لماذا بكيت يا أبانا ؟ قال لهم : تأثرت لأمرين : الأول هو ضياع هذه المرأة ، والثاني أنني لا أملك الحماس والغيرة الكافية لأرضي الله كما ترضي هذه المرأة الناس .

٥ ـ قال الأب بمفو : الشكر لله أنني منذ أن رفضت العالم ، لم أندم على كلمة تلفظت بها .

٦ ـ وقال أيضاً : الراهب يجب أن يرتدي لباساً بحيث إذا رُمي خارج القلاية ثلاثة أيام ، لا يلتقطه أحد .

٧ ـ حدث مرة أن كان الأب بمفو يمشي مع بعض الاخوة في نواحي مصر ، رأى أناساً من أهل العالم يجلسون وقال لهم : انهضوا وقبّلوا الرهبان لكي تتباركوا . فهؤلاء يتكلمون مع الله على الدوام وأفواههم طاهرة .

٨ ـ قالوا عن الأب بمفو إنه لمّا أوشك أن ينتقل من هذا العالم ، قال للحاضرين معه من الرجال القديسين : منذ أن أتيت إلى هذا المكان وبنيت قلايتي فيه ، لا أذكر أني أكلت خبزاً لم أصنعه أنا . ولم أندم إلى الآن على كلمة تلفظت بها . وها أنا الآن ذاهب إليه ، وكأني لم أبدأ تعبّدي له بعد .

٩ ـ وكان بهذه يمتاز على كثيرين ، وعندما كان يسأله أحد عن كلمة روحية أو كتابية لم يكن يجيب على الفور ، بل كان يقول إنه لا يعرف هذا ، وأحياناً ، كان لا يتكلم البتة .

١٠ ـ قال الأب بمفو : إذا كان لك قلب يمكنك أن تخلص .

١١ ـ سأل كاهن من النطرون الأب بمفو : كيف يمكن للاخوة أن يسلكوا ؟ قال

له : بنسك كبير وهم يحفظون ضميرهم طاهراً نقياً تجاه القريب .

١٢ ـ قالوا عن الأب بمفو إنه كما أن موسى أخذ صورة مجد آدم عندما تمجّد وجهه ، هكذا تماماً كان وجه بمفو يلمع . كان كالملك على عرشه . وكان الأب سلوان وسيسوى يماثلانه في القامة .

١٣ ـ قالوا عن الأب بمفو إن وجهه لم يضحك البتة . وأرادت مرة الشياطين أن تجعله يضحك ، فربطت طيراً إلى خشبة كانت تمسكه بها . وكانت تحدث أمامه من الجلبة والضوضاء ما يثير الضحك فعلاً . فلما رأى الأب بمفو هذا ، شرع يضحك ، فتهلّل الشياطين طرباً وابتهاجاً . فقال لهم : لم أكن أضحك بل كنت أهزأ من ضعفكم كونكم جميعاً تمسكون طيراً واحداً .

١٤ ـ توسل الأب ثيوذورس الفرمي إلى الأب بمفو قائلاً : قل لي كلمة . وبعد جهد كبير قال له : يا ثيوذورس ، اذهب وكن رحيماً نحو الجميع ، لأن الرحمة قد وجدت حظوة في عيني الرب .

الأب بيستوس

١ ـ حدّثنا الأب بيستوس ، وقال : ذهبنا سبعة متوحدين إلى الأب سيسوى الذي كان يقيم في كليزما ورجونا منه باستعطاف أن يقول لنا كلمة ، فقال : سامحوني يا إخوتي ، أنا إنسان عاميّ ، إلاّ أني ذهبت مرة لزيارة الأب أور والأب آثري ، وكان الأب أور مريضاً منذ مدة . ولمّا دخلت عليهما سجدت وطلبت أن يقولا لي كلمة ، فقال الأب أور : ماذا أقول لك ؟ اذهب واعمل بما تراه . فالله هو للذين يجاهدون ويقسون على أنفسهم في كل شيء . لم يكن أور وآثري من مكان واحد ، لكن المحبة بينهما كانت عظيمة جداً ، لأن طاعة الأب آثري كانت كبيرة ، وتواضع الأب أور كان كثيراً . فأقمت عندهما أياماً أتبع سلوكهما ، فلاحظت معجزة كبيرة اجترحها الأب آثري . إذ إن إنساناً قدّم إليهما مرة سمكة صغيرة ، فأراد الأب آثري أن يشويها للشيخ أور ، وكان يحمل بيده سكيناً يقطعها به . فناداه الأب أور فترك السكين في أحشاء السمكة ولبّى النداء ، دون أن يقول له انتظر حتى أنتهي من قطعها . . . فتعجبت لطاعته وقلت : من أين لك هذه الطاعة يا أبت ؟ أجابني : ليست هي لي ، بل للأب أور . ثم أخذني وقال : تعال لترى قامته في الطاعة . فشوى السمكة وأتلفها عمداً ، ثم دفعها إلى الشيخ ليأكل ، فأكل الشيخ أور دون أن يقول كلمة . فقال له : كيف مذاقها يا أبت ؟ قال الأب أور : إنها شهيّة للغاية . بعد ذلك دفع له جزءاً آخر كان قد أعدّه بشكل جيّد وقال : خذ من هذه يا أبت . فتناولها . فقلت له : هذا أتلفته قليلاً يا أبت . قال : نعم ، لقد أتلفته قليلاً . ثم قال لي الأب آثري : هل رأيت كيف أن طاعتي هي طاعته ؟ فخرجت من عندهما وتمّمت كل ما رأيته محاولاً حفظه قدر الإمكان . هذه الكلمات قالها الأب سيسوى للإخوة . فرجا منه أحدنا قائلاً : أحسن

له : بنسك كبير وهم يحفظون ضميرهم طاهراً نقياً تجاه القريب .

١٢ ـ قالوا عن الأب بمفو إنه كما أن موسى أخذ صورة مجد آدم عندما تمجّد وجهه ، هكذا تماماً كان وجه بمفو يلمع . كان كالملك على عرشه . وكان الأب سلوان وسيسوى يماثلانه في القامة .

١٣ ـ قالوا عن الأب بمفو إن وجهه لم يضحك البتة . وأرادت مرة الشياطين أن تجعله يضحك ، فربطت طيراً إلى خشبة كانت تمسكه بها . وكانت تحدث أمامه من الجلبة والضوضاء ما يثير الضحك فعلاً . فلما رأى الأب بمفو هذا ، شرع يضحك ، فتهلّل الشياطين طرباً وابتهاجاً . فقال لهم : لم أكن أضحك بل كنت أهزأ من ضعفكم كونكم جميعاً تمسكون طيراً واحداً .

١٤ ـ توسل الأب ثيوذورس الفرمي إلى الأب بمفو قائلاً : قل لي كلمة . وبعد جهد كبير قال له : يا ثيوذورس ، اذهب وكن رحيماً نحو الجميع ، لأن الرحمة قد وجدت حظوة في عيني الرب .

الأب بيستوس

١ ـ حدّثنا الأب بيستوس ، وقال : ذهبنا سبعة متوحدين إلى الأب سيسوى الذي كان يقيم في كليزما ورجونا منه باستعطاف أن يقول لنا كلمة ، فقال : سامحوني يا إخوتي ، أنا إنسان عاميّ ، إلاّ أني ذهبت مرة لزيارة الأب أور والأب آثري ، وكان الأب أور مريضاً منذ مدة . ولمّا دخلت عليهما سجدت وطلبت أن يقولا لي كلمة ، فقال الأب أور : ماذا أقول لك ؟ اذهب واعمل بما تراه . فالله هو للذين يجاهدون ويقسون على أنفسهم في كل شيء . لم يكن أور وآثري من مكان واحد ، لكن المحبة بينهما كانت عظيمة جداً ، لأن طاعة الأب آثري كانت كبيرة ، وتواضع الأب أور كان كثيراً . فأقمت عندهما أياماً أتبع سلوكهما ، فلاحظت معجزة كبيرة اجترحها الأب آثري . إذ إن إنساناً قدّم إليهما مرة سمكة صغيرة ، فأراد الأب آثري أن يشويها للشيخ أور ، وكان يحمل بيده سكيناً يقطعها به . فناداه الأب أور فترك السكين في أحشاء السمكة ولبّى النداء ، دون أن يقول له انتظر حتى أنتهي من قطعها . . . فتعجبت لطاعته وقلت : من أين لك هذه الطاعة يا أبت ؟ أجابني : ليست هي لي ، بل للأب أور . ثم أخذني وقال : تعال لترى قامته في الطاعة . فشوى السمكة وأتلفها عمداً ، ثم دفعها إلى الشيخ ليأكل ، فأكل الشيخ أور دون أن يقول كلمة . فقال له : كيف مذاقها يا أبت ؟ قال الأب أور : إنها شهيّة للغاية . بعد ذلك دفع له جزءاً آخر كان قد أعدّه بشكل جيّد وقال : خذ من هذه يا أبت . فتناولها . فقلت له : هذا أتلفته قليلاً يا أبت . قال : نعم ، لقد أتلفته قليلاً . ثم قال لي الأب آثري : هل رأيت كيف أن طاعتي هي طاعته ؟ فخرجت من عندهما وتمّمت كل ما رأيته محاولاً حفظه قدر الإمكان . هذه الكلمات قالها الأب سيسوى للإخوة . فرجا منه أحدنا قائلاً : أحسن

إلينا وقل كلمة. قال : إن من كان عديم الهمّ بمعرفته ، يحفظ الكتاب المقدس كلّه ويطبّقه. فسأله آخر: ما هي الغربة يا أبت؟ أجاب: أصمت وقل: لا أملك شيئاً، لا أملك شيئاً. هذا ردّده حيثما ذهبت وأينما كنت. هذه هي الغربة.

الأب بيور

١ ـ عمل المغبوط بيور عند أحد المزارعين وقت الحصاد ، ثم ذكّره أن يدفع له أجرته ، فأرجأ الدفع ، فعاد إلى ديره . ولما جاء وقت الحصاد الثاني ، عاد وعمل لديه من جديد ، وبكل نشاط ، فلم يدفع له ذاك شيئاً ، فعاد إلى ديره . وفي تمام السنة الثالثة ، قام الشيخ بالعمل نفسه ، فعاد أيضاً إلى ديره كما فعل سابقاً دون أن يتقاضى أجره . وبما أن الرب عاقب ذلك البيت ، حمل ذلك المزارع الأجرة إلى الأديرة وأخذ يطوف من دير إلى دير طالباً القديس . فلما وجده ، خرّ على قدميه وأعطاه حقه قائلاً : الرب أعطاني إياها . فأذن له أن يقدمها إلى الكنيسة بواسطة الكاهن .

٢ ـ كان الأب بيور يأكل وهو يمشي . فسأله أحد الإخوة : ولماذا تأكل هكذا يا أبت ؟ قال : لا أريد أن يكون الطعام مهنة ، إنما عمل ثانوي . ثم سأل الأخ راهباً آخر عن الأمر نفسه ، فقال له : لئلا تشعر نفسي باللذة الجسدية في الطعام .

٣ ـ صار في الاسقيط اجتماع بسبب أخ قد خطيء ، فتكلم الآباء ، أمّا الأب بيور فلبث صامتاً . ثم نهض وخرج يحمل على كتفه كيساً مملوءاً رملاً ، ووضع قليلاً من الرمل في سلة وحملها أمامه . فلما سأله الأنبياء عن سبب عمله هذا ، قال : إن هذا الكيس المليء بالرمال ، هو خطاياي أنا ، وهي كثيرة العدد ، وقد تركتها ورائي لئلا أتألم بسببها فأبكي. أمّا خطيئة أخي فهي أمامي ، وبها

انشغل إذ أدينه . وبالطبع لا يليق أن أفعل هكذا ، إنما يجب بالأحرى أن أضع خطاياي نصب عيني وأهتمّ بها متضرعاً إلى الله أن يسامحني.[1] فنهض الآباء وقالوا: في الحقيقة إن هذه هي سبيل الخلاص.

الأب بيتيريون

١ ـ قال الأب بيتيريون تلميذ الأب أنطونيوس : من أراد أن يطرد الشياطين ، عليه أن يخضع الأهواء أولاً ، لأننا إذا تغلبنا على الأهواء نقدر أن نطرد الشياطين . ثم أردف قائلاً : فالشيطان يتبع الغضب . وإذا ضبط الغضب ، يطرد شيطانه . والشيء نفسه يقال عن كل هوى .

الأب بيستامون

١ ـ سأل أخ الأب بيستامون قائلاً : ماذا أعمل إذا انزعجت وأنا أبيع عمل يدي ؟ أجابه الشيخ : والأب سيسوى أيضاً وسواه من الآباء كانوا يبيعون عمل أيديهم . إن هذا لا يؤذي بذاته . ولكن عندما تبيع ، قل ثمن السلال مرة واحدة فقط . وإذا رغبت في تخفيض الثمن قليلاً ، فهذا متروك لك . بهذا تجد راحة . فقال له الأخ ثانية : إذا كانت حاجاتي مؤمّنة لي ، هل تنصحني أن أهتم بعمل اليد ؟ أجابه الشيخ : مهما كان لديك ، لا تتخلى عن عمل اليد . فقط اعمل ما في وسعك ، لكن دونما اضطراب .

---

(١) بالطبع إن هذه صورة رمزية وضعها أيسويوس إذ قال: «إن كل إنسان يحمل كيسين، الواحد من الخلف والآخر من الأمام» .

الأب بطرس البيونيتي

١ ـ قالوا عن الأب بطرس البيونيتي في القلالي إنه لا يشرب خمراً . فلما شاخ دفع إليه الاخوة شراباً ممزوجاً بخمر ورجوا منه أن يقبله ، فقال لهم : صدقوني يا اخوتي أنني أعتبره خمراً حلواً . ثم سمح لنفسه أن يشرب الشراب الممزوج بالخمر .

٢ ـ قال أخ للأب بطرس تلميذ الأب لوط: عندما أكون في قلايتي، تكون نفسي في سلام. ولكن عندما يعودني أحد الاخوة ويسمعني كلاماً من الخارج ، فإن نفسي للحال تضطرب. فقال له الأب بطرس: قال الأب لوط «إن مفتاحك يفتح بابي». فقال الأخ للشيخ: وما معنى هذا الكلام يا أبت؟ أجابه الشيخ: إذا زارك أحد تقول له: كيف حالك؟ من أين أتيت ؟ وكيف حال الاخوة؟ ثم تفتح باب الأخ فتسمع ما تريد. قال له : إذن ، الأمر هو هكذا ! ترى ما العمل إذا زارنا أحد الاخوة؟ أجابه الشيخ: النوح كله تعليم . وحيثما يغيب ، لا يمكن للمرء أن يتيقظ. قال الأخ : أنا لا أجد النوح لا في القلاية ولا خارجها . قال له الشيخ: لم يخضع لك بعد، إنما ما يزال نافعاً للاستعمال ، لأنه كتب في الناموس «إذا ابتعت عبداً عبرانياً ، فإنه سيخدمك ست سنوات وفي السابعة تطلقه. وإذا أعطيته امرأة، وصار له أولاد في بيتك، فمن أجل المرأة والأولاد لا يرغب في الرحيل عنك، فتقوده إلى باب البيت وتثقب أذنه فيكون لك عبداً إلى الأبد». قال الأخ: وما معنى هذا الكلام يا أبت؟ قال الشيخ: إذا تعب الإنسان في شيء حسب طاقته، فإنه عندما يحتاج إليه، يجده. قال له: اعمل لي معروفاً وفسّر هذا القول. أجابه الشيخ: حتى الابن غير الشرعي لا يكون عبداً لأحد، أما من هو ابن حقيقي، فلا يترك أباه.

٣ ـ قالوا عن الأب بطرس والأب أبياخوس إنهما كانا رفيقين في رايثو . ولمّا كان الاخوة يأكلون في الكنيسة ، أرغموهما على الجلوس إلى مائدة الشيوخ . وبصعوبة كبيرة ذهب الأب بطرس بمفرده . ولمّا انتهوا من الطعام ، قال له الأب أبياخوس : قل لي : كيف تجاسرت على الذهاب إلى مائدة الشيوخ ؟ أجابه الأب بطرس : إذا جلست معكم ، فإن الإخوة سيطلبون مني بإلحاح أن أبارك الطعام ، فأصير أولاً بينكم . لكن عندما انتقلت إلى مائدة الشيوخ (الآباء) ، أصبحت أصغر الجميع ، وفي الفكر أكثر تواضعاً .

٤ ـ قال الأب بطرس : لا ينبغي أن نتكبر عندما يجري الرب أمراً على أيدينا . بل ينبغي بالأحرى أن نشكره لأنه أهّلنا أن ننجذب إليه . ثم أردف قائلاً : وفي كل فضيلة أيضاً ، يليق بنا التفكير هكذا .

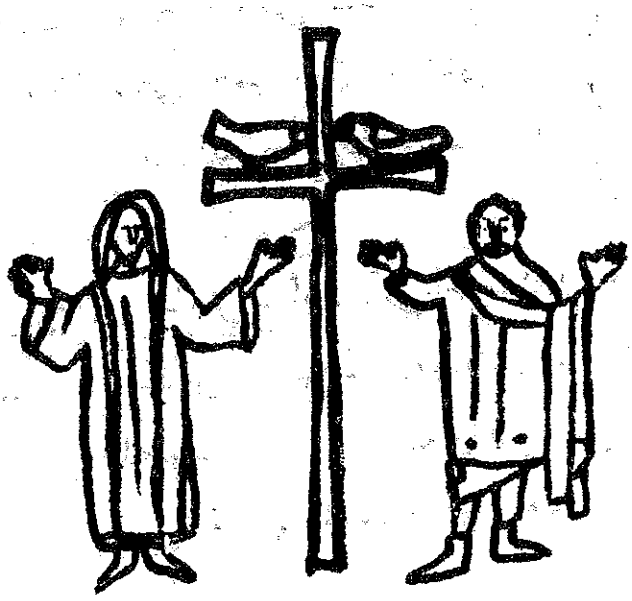

الأب بفنوتيوس

١ـ قال الأب بفنوتيوس : لمّا كنت أمشي في الطريق ، ضللت بسبب الضباب ، فوجدت نفسي أمام إحدى القرى . وهناك رأيت البعض يتحدثون ، فوقفت أصلّي من أجل خطاياي . فجاء ملاك يحمل سيفاً وقال لي : يا بفنوتيوس ، إن الذين يدينون إخوتهم يهلكون بحد هذا السيف . أمّا أنت ، فكونك لا تدين أحداً بل تتضع أمام الله وكأنك أنت الذي يرتكب الخطيئة ، فإن اسمك قد كتب في سفر الأحياء .

٢ ـ قالوا عن الأب بفنوتيوس إنه لم يكن يشرب الخمر بسهولة. وحدث مرة أنه بينما كان يمشي ، وجد نفسه وسط زمرة من اللصوص كانوا يحتسون الخمر . فعرفه رئيسهم وعرف أنه لا يتعاطى الخمر . فلمّا رأه يمشي وقد أضناه التعب ، صبّ له كأساً وحمل سيفه بيده وقال للشيخ : إذا لم تشرب أقتلك . فأيقن الشيخ أن يعمل بوصية الله ، وإذ أراد أن يربحه ، تناول الكأس وشربه . للحال ندم رئيس اللصوص وقال : سامحني يا أبت لأني أحزنتك . أجابه الشيخ : أؤمن بالله ، إنه بسبب هذا الكأس ، سيجري معك رحمته في هذا الدهر وفي الآتي . فقال رئيس اللصوص : أؤمن بالله وأعلن أني من الآن لن أسيء لأحد . فربح الشيخ العصابة كلها للمسيح كونه أهمل مشيئته الذاتية حباً بالرب .

٣ ـ قال الأب بيمن عن الأب بفنوتيوس : في كل الأيام التي عاشها الشيوخ ، كنت أتردد عليهم مرتين في الشهر. ولمّا ابتعدت عنهم مسافة اثنتي عشر ميلاً ، كنت

أكشف لهم كل فكر من أفكاري ، فلم يكونوا يقولون لي سوى هذا : « حيثما ذهبت ، لا تقم لنفسك وزناً ، فترتاح » .

٤ ـ كان مع الأب بفنوتيوس في الاسقيط أخ حورب بالزنى ، فقال : ولو أني تزوجت عشر نساء ، لا أشبع شهوتي . فتوسل إليه الأب بفنوتيوس قائلاً : لا يا ولدي ، هذا الكلام هو بسبب حرب الشياطين . فلم يقتنع إنما مضى إلى مصر وتزوج . وبعد زمان ، حدث أن نزل الشيخ إلى مصر فصادفه يحمل سلة فيها صدف ، فلم يعرفه ، لكن ذاك قال له : أنا تلميذك فلان يا أبت . فلمّا رآه الشيخ في تلك الحالة ، بكى وقال : كيف تركت ذاك الشرف وأتيت إلى هذا الهوان ؟ على كل حال ، هل اقترنت بعشر نساء كما قد ذكرت لي ؟ فتنهد الأخ وقال : بالطبع لقد تزوجت واحدة ، لكني أشقى كثيراً في سبيلها ولا أعرف كيف أشبعها خبزاً . قال له الشيخ : هلاّ تعود إلينا من جديد ؟ أجابه الأخ : وهل من توبة يا أبت ؟ قال الشيخ : نعم . للحال ترك كل شيء وتبعه . ولمّا جاء إلى الاسقيط ، صار بخبرته مبتدئاً في الرهبنة .

٥ ـ كان أخ يقيم في برية طيبة ، فجاءه فكر يقول له : وكيف تقيم هنا بدون ثمر ؟ إنهض واذهب إلى دير فيه حياة مشتركة ، فيكون لك فيه ثمر . فقام وجاء إلى الأب بفنوتيوس وأطلعه على أفكاره . فقال له الشيخ : إذهب وأقم في قلايتك واتلو صلاتك صبحاً وعشية وفي منتصف الليل . وعندما تجوع ، كلْ . وكلما عطشت ، إشرب . وإذا تعبت أو نعست ، إذهب إلى النوم مقيماً في أرض مقفرة ولاتقتنع بما أوحى لك به فكرك . فجاء إلى الأب يوحنا وأخبره بما قاله له الأب بفنوتيوس ، فقال له الأب يوحنا : لا تتلو أبداً صلاة مشتركة ، فقط لازم قلايتك . فقام ومضى إلى الأب أرسانيوس وأطلعه على كل شيء ، فقال له : اعمل بما قاله الآباء ، لأنني لا أقدر أن أضيف شيئاً إلى كلامهم . فمضى راضياً مسروراً .

الأب بولس

١ ـ حدّثنا أحد الآباء عن الأب بولس أنه كان من نواحي مصر السفلى وكان يقيم في طيبة ، وكان بيديه يمسك الأفاعي ويشطرها إلى شطرين . فصنع له الإخوة سجدة وقالوا : قل لنا ، أي عمل فعلت حتى نلت هذه النعمة ؟ قال لهم : سامحوني يا آبائي ، الإنسان إذا ما اقتنى الطهارة ، فإن كل شيء يخضع له ويطيعه ، كحال آدم عندما كان في الفردوس قبل أن يعصى الوصية .

الأب بولس الكوزميتي

١ ـ كان الأب بولس الكوزميتي وأخوه تيموثاوس يقيمان في الاسقيط ، وكان كثيراً ما يحصل بينهما خلاف ، فقال الأب بولس : إلى متى سنبقى هكذا ؟ قال له الأب تيموثاوس : أحسِن إليّ واحتملني عندما أثور عليك . وأنت عندما تثور عليّ ، سأحتملك بدوري أنا أيضاً . فلما فعلا هكذا ، ارتاحا إلى نهاية حياتهما .

٢ ـ كان الأب بولس الكوزميتي وأخوه تيموثاوس المقيمان في الاسقيط ، ينزعجان من الإخوة . فقال تيموثاوس لأخيه : وما حاجتنا إلى هذا الفن ؟ إننا لا نقدر أن نهدأ طول النهار . أجابه الأب بولس وقال : يكفينا هدوء الليل إذا كان ذهننا صاحياً .

الأب بولس الكبير

١ ـ قال الأب بولس الكبير الذي من غلاطية : إنّ الراهب الذي له حاجات قليلة في قلايته ، متى خرج للإهتمام بها ، فإن الشياطين كلها ترزأ به ، وأنا نفسي تألمت من هذا .

٢ ـ قال الأب بولس : في الضوضاء أكون غرقاً حتى عنقي ، فأبكي أمام الله قائلاً : « إرحمني » .

٣ ـ قالوا عن الأب بولس إنه أمضى الصوم الأربعين المقدس في خابية العدس وفي جرن الماء وفي سلة يحيكها ويفكّها مغلقاً على نفسه حتى يوم العيد.

الأب بولس البسيط

١ ـ الأب المغبوط بولس البسيط تلميذ الأب أنطونيوس ، قصّ على الآباء أمراً كهذا : عندما وصل مرة في زيارة إلى الدير من أجل منفعة الإخوة وتفقّدهم والوقوف على أحوالهم ، حدث أنه بعد الحديث معهم ، دخل إلى الكنيسة للإشتراك في الخدمة المألوفة ، وكان ينتبه إلى الداخلين والخارجين فرداً فرداً ليرى بأي نفس يدخلون إلى الكنيسة . لأنه كانت له مثل هذه الموهبة من الله ، إذ كان يعرف نفس كل واحد بمجرد النظر إليه ، تماماً كما ننظر نحن إلى وجوه بعضنا البعض . وكان الجميع يدخلون ووجوههم تطفح بالإشراق ، وكان ملاك كل واحد يفرح لذلك . ثم فجأة رأى واحداً أسود الوجه قاتمه وكأن جسده قد أظلم ، ورأى الشياطين عن جانبيه يمسكون به ويجرونه إليهم جاعلين في أنفه رشمة ، أمّا ملاكه فكان يتبعه من بعيد معبّساً ومتجهّماً . فبكى بولس وضرب صدره بيده وجلس في المقعد الأمامي من الكنيسة وهو يبكي بشدّة من أجل ذلك الأخ . فلاحظ الإخوة الأمر الغريب الذي كان يقلقه ، وتلمّسوا التغيرّ الحاد الذي دفعه إلى البكاء والنوح ، فسألوه متوسلين أن يقول لهم لماذا يبكي ظانين أنه كان يفعل هكذا لدينونتهم فرجوا منه أن يدخل معهم إلى الإجتماع أمّا هو فتحاشاهم وجلس خارجاً يبكي بشدّة من أجل الأخ الذي رآه . وبعد قليل وعندما انفضّ الإجتماع ، خرج الجميع ، فعاد بولس يراقب كل واحد من الخارجين مريداً أن يعرف كيف يغادر كل منهم الكنيسة . فرأى ذلك الأخ الذي كان قبل قليل أسود الهيئة متجهماً وقد صار لامع الوجه أبيض الجسد ، والشياطين تتبعه من بعيد بينما كان ملاكه الحارس يمشي بقربه مسروراً

به. فانتصب بولس فرحاً وصرخ وهو يبارك الله: ما أعظم إحسان الله وصلاحه! فأسرع وصعد إلى مكان مرتفع وأخذ يصرخ بأعلى صوته ويقول: تعالوا وانظروا أعمال الله العجيبة التي تستحق كل ذهول (مزمور ٤٥: ٩). أنظروا من يريد الكل أن يخلصوا وإلى معرفة الحق يقبلوا (١ تيمو ٢: ٤). هلمّوا لنسجد ونركع له (مزمور ٩٤: ٦) ونقول: أنت وحدك القادر أن تغفر الخطايا. فتراكض الجميع بحماس وأرادوا الإستماع إلى كلامه. ولمّا اجتمعوا، سرد عليهم الأب بولس ما تراءى له قبل دخوله إلى الكنيسة وبعده، وطلب من ذلك الرجل (أي الأخ) أن يطلعهم على السبب، الذي لأجله منحه الله فجأة تغييراً كهذا. فلما انكشف أمر الرجل على يد بولس، نطق بمكنونات صدره دونما تردد وقال: أنا إنسان خاطىء كنت أعاشر العاهرات منذ زمن بعيد وحتى اليوم. ولكن لمّا دخلت إلى الكنيسة سمعت سِفر النبي أشعياء يُتلى وبالأحرى كان الله يتكلم فيه «إستحموا وصيروا أنقياء واطرحوا الشر من قلوبكم ومن أمام عيني. تعلموا الإحسان. إنه لو كانت خطاياكم كالقرمز تبيّض كالثلج. . . . إن شئتم وسمعتم، فإنكم تأكلون طيبات الأرض» (أشعياء ١: ١٦ ـ ١٩). أمّا أنا الزاني، فتأثرت لكلمات النبي وتنهدت في قلبي وقلت لله: «أنت هو الله الذي أتيت إلى العالم لتخلص الخطأة كما وعدت الآن بنبيك. هذا حققّه فيّ أنا الخاطىء وغير المستحق. وفي الحقيقة أقسم وأتعهد وأعترف لك من كل قلبي إنني من تلك اللحظة لن أفعل الشرور، إنما سأطرح كل ضلال وأخدمك بضمير طاهر. ثم قال إنه بهذه الوعود التي قطعها مع الله، غادر الكنيسة مصمماً في قلبه أن لا يفعل بعد أي شر أمام الله. فلما سمع الجميع هذا، صرخوا بصوت واحد إلى الله: «ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صنعت» (مزمور ١٠٣: ٢٤). فاعلموا يا أيها المسيحيون، من الكتب والإعلانات الإلهية صلاح الله للذين يهرعون إليه بصدق فيصلحون بالتوبة سيرتهم السابقة، وإن الله يهب الخيرات الموعود بها بدون أن يعاقب على الخطايا السالفة، فلا نيأس من خلاصنا لأنه كما وعدنا بنبّيه أشعياء أنه سيطهر خطايانا القاتمة ويجعلنا بيض كالثلج، فنؤهل لخيرات اورشليم السماوية. هكذا أيضاً بنبيه القديس حزقيال يدعونا ويقسم أنه لن يهلك أحداً منا: «أنا حي يقول الرب، لأني لست أشاء موت الخاطىء إلى أن يعود ويحيا» (حزقيال ١٨: ٣٢ و٣٣: ١١).